

الجذور التاريخية في تطلعات العرب المسلمين

لفتح مدينة القسطنطينية في عصر صدر الإسلام

(١ / ٤١ هـ) (٦٢٢ - ٦٦١ م)

د. عواد مجيد الاعظمي

اشتريته من شارع المتنبي ببغداد
في 17 / ربيع الآخر / 1444 هـ
في 11 / 11 / 2022 م هـ

سرمد حاتم شكر السامرائي



١٩٨٥



منشورات وزارة الثقافة والاعلام ـ الجمهورية العراقية

سلسلة كتب الجماهير
(٤٧)

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي
Telegram: https://t.me/Tihama_books قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي
Telegram: https://t.me/Tihama_books قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي

الجذور التاريخية في تطلعات العرب المسلمين لفتح مدينة القسطنطينية في عصر صدر الاسلام

(١/٤١هـ) (٦٢٢ - ٦٦١م)

تأليف

د. عواد مجيد الاعظمي

كلية الآداب - جامعة بغداد

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي
Telegram: https://t.me/Tihama_books قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي
قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي Telegram: https://t.me/Tihama_books

إهـــداء ...

الى ابنتي ســلمى .. اضــع عصــارة فكري التاريخي من اجلهــا .. لتسلك طريــق الحق والصواب ...

عـواد

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي
قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي Telegram: https://t.me/Tihama_books

تقديـــم

قهر العرب المسلمون الفرس في معركة القادسية الخالدة عام ١٥هـ /٦٣٥م ، بعد أن قهروا الروم في معركة اليرموك الماجـدة عام ١٣هـ/٦٣٤م ، وبذلك أعادوا العراق والشام الى أرض العرب .

غير أن الفرس والروم لم يتعلموا الدروس من هاتين المعركتين الخالدتين أو يتعظوا بهما ، فبـدأوا يجمعون جيوشهم الخائبـة لتكرار العدوان والاغتصاب .. فحشد الفرس جيوشهم على حدود العراق الشرقية ، فكان قهرهم النهائي في معركة نهاوند . معركة « فتح الفتوح » ٢١/ ٦٤٢ م ..

ووقع على أثرها سقوط الامبراطورية الفارسية ، ورفعت الرايـة العربية الاسلامية فـوق ارض ايـران كافة ، بعـد مصرع « يزدجرد » آخر ملوكهم في مدينة مرد من ارض خراسان عـام ٣١ هـ / ٦٥٢م .

كما حشد الروم جيوشهم على حدود سوريا الشمالية وفي جزر البحر الابيض المتوسط ، وكان الرد العربي حاسماً في عمق اراضيهم وجزر هذا البحر ...

وأما « هرقل » ملك الروم ، فقد هرب من أرض الشام الى مدينة القسطنطينية ، بعد ان قال قوله المشهور « عليك يا سوريا السلام .... » ، لكن سوريا لم ترد عليه السلام ، بل أجابته باعتناق الاسلام ....

ومن مدينة القسطنطينية استمر « هرقل » يهدد العرب بالأنتقام ويتوعدهم بالغزو والحرب براً وبحراً ، وبهذا بدأ العرب المسلمون حربهم الدفاعية حيناً والهجومية أحياناً أخرى ....

فعلى الجبهة البرية بدأ العرب يدكون قلاع الروم وحصونهم، ويقهرون الجبال والوديان والسهول ، لا توقف تقدمهم الثلوج المتراكمة، والرياح العاتية، ولا البرد القارس... فكونوا الصوائف والشواتي ، والثغور والعواصم ...

وفي الجبهة البحرية بدأ أسطولهم البحري ينمو ويكبر ، وأخذت الجزر الرومية عبر البحر المتوسط تسقط الواحد بعد الاخرى .. ثم شرعوا يضيقون الخناق على مدينة القسطنطينية الحصينة المحصنة بأسوارها المنيعة المتينة ، إضافة الى إحاطتها بالبحار من جوانبها الثلاثة ، كما هو موضح في الفصل الاول من هذا الكتاب .

إن هذا الكتاب سوف يعالج الجذور التاريخية في تطلعات العرب المسلمين لفتح مدينة القسطنطينية التي وعدهم الرسول الكريم (ص) بفتحها وضمها الى الحضيرة العربية الأسلامية بعد أن كان (ص) ينشد ضمها ودخولها الاسلام عن طريق الصلح

والسلام ، لا عن طريق السيف والقتال ، كما سوف يلحظه القارىء الكريم من خلال هذا البحث وهذه الدراسة ..

وبعد وفاة الرسول الكريم (ص) ، حمل خلفاؤه الراشدون مسؤولية حرب التحرير ، فأرسلوا الجيوش العربية الاسلامية لتحرير أرض الشام العربية، فكانت معركة اليرموك الحاسمة، وكان ما كان من انكسار الجيوش البيزنطية في البر والبحر . وتقدمهم نحو مدينة القسطنطينية ، وهذا ما سوف يلحظه القارىء الكريم من خلال هذا البحث أيضاً ...

إن الهدف الأساس من تأليف هذا الكتاب ليس مجرد إبراز القوة العسكرية العربية الأسلامية الضاربة في البر والبحر ، والتي أصبح الأمر منها مفروغاً ، خاصة إن الامبراطوريتين السائدتين آنذاك ـ الفارسية والرومية ـ قد قامتا على اساس القوة العسكرية والقهر والأستعباد ، فكان لابد أن تواجه القوة بالقوة، والا كيف يتم النصر ، وكيف يتم تحرير أرض العرب ..

أقول : إن الهدف أو الأهداف من تأليف هذا الكتاب ، هو إبراز روح الأيمان والعقيدة ، والتضحية والفداء التي حملها العرب المسلمون في حمل الراية العربية الاسلامية الى رعايا هاتين الأمبراطوريتين الذين كانوا يعانون من الظلم والجور والتعسف والاستعباد من لدن حكامهم الطغاة ، وما كان من رعايا هاتين الأمبراطوريتين ـ ونخص بالذكر هنا الروم منهم لان الدراسة خاصة بهم إلا أن يتجاوبوا مع العقيدة العربية الاسلامية السمحاء ، وما تتضمنه من حرية ، وإخاء ومساواة ... فاستجاب منهم من إستجاب للاسلام كما استجاب

منهم من استجاب للصلح والوفاق والتعايش السلمي مع العرب ، فحميت بذلك اموالهـم ، ونساؤهم ، واطفالهـم وشيوخهـم ، ومؤسساتهم الدينية من أديرة ، وكنائس ، وكنوز ، وثروات ..

ومن الحصائل الأخرى المهمة التي سوف يخرج بها القارىء الكريم ، هو أن العرب لم يكونوا قوماً فاتحين مستغلين ـ كما يحلو للبعض ان يصورهم ـ إنما كانوا بناة فكر ، وحضارة وإنسانية .. فلم يهدموا بيتاً ، أو يخربوا قرية أو مدينة ، أو يتلفوا زرعاً ، أو يقلعوا شجرة ، بـل كانوا يبنـون مـدناً جديدة ، ويعمـرون أرضاً جديدة ويحيونها ، ولم يمزقوا كتاباً أو يحرقوا مكتبة في الدين أو الفكر أو الادب ، بل تعاملوا معها بعقل مفتوح وروح سمحاء ...

ولعل القارىء الكريم سوف يدرك أهدافاً أخرى نبيلة وسامية تميزت بها الشخصية العربية من الخصائص والسمات التي طبع بهـا خلقهم العظيم ..

وإذا كان في كتابة تاريخ أمتنا العربيـة من عبرة أو عبـر ، فالعبرة من تأليف هذا الكتاب ، ليس هو مجرد التغني بالماضي المجيد العتيد وحسب إنما هو اتخاذه سبيلا وطريقاً ، ونهجاً ومنهجاً في السير والتقدم نحو الخير والصـلاح ، ورسم خطى حاضـرنا ومستقبلنا الزاهر ...

أجل ... لابد لي أن أقول إني دونت في هذا الكتاب صورة من صور ماضينا المشرق ، وهذا أمر طبيعي تعتز به كل أمة من الأمم

وتفخر به ، فكيف لا نفخر ونعتز بتاريخ أمتنا المجيد الذى قدم للعالم آنذاك ، كل هذا الفيض من الخير ، والحرية ، والرفاه .. وهذه أيضاً تشكل حصيلة من حصائل تأليف هذا الكتاب .

اعتمدت في تأليف هــذا الكتاب على العديد مــن المصادر الأولية ، والمراجع الثانوية العربية والأجنبية ، وبهذا جاء الكتاب متبعاً النهج الأكاديمي العلمي ..

وقد حبذت نشر القسم الأول منه الآن الذى جـاء بعنوان « الجذور التاريخيـة في تطلعات العـرب المسلمين لفتح مدينـة القسطنطينية في عصر صدر الأسلام » ، لأن ذلك سوف يعطي الأسس والقواعد المبدئية الأساسية الاولى ، آملاً أن أنجز القسم الثاني منـه ، والخاص باسـتمرار تطلعات العـرب المسـلمين في محاولاتهم العديدة من أجل إدخـال هذه المدينة العريقـة ضمن حضيرة العالم العربي الاسلامي خلال العصر الأموي ـ وخاصة ما كان من حصار مسلمة بن عبدالملك بن مروان لهذه المدينة والذي أشرت إليه في كتابي المؤلف عنه الذى صدر عام ١٩٨١ .

د . عواد مجيد الاعظمي
بغـــداد
١٩٨٤

الفصل الاول

مدينة القسطنطينية

موقعها الجغرافي - تخطيطها - بناؤها -

ووصفها

١- الموقع الجغرافي وأهميته

٢- تخطيط المدينة وبناؤها

٣- وصف مدينة القسطنطينية

١ ـ الموقع الجغرافي واهميته :

تقع مدينـة القسطنطينية على درجـة عرض ٤١° شمالاً . وتسيطر تلالها السبعة على شواطىء قارتي أسيا وأوروبا من تلك الجهات ...

وهي تقع على ملتقى ثلاث طـرق مائيـة .. والقسطنطينية مثلث يحادد الماء ضلعيه ، ففي الشمال الغربي يمتد ميناء طـويل مقوس هو القـرن الذهبي الشهير .. والى الجنوب الغـربي يقع بحـر مرمرة ... وبين البحرين الاسـود ومرمرة يجـري بحـر البوسفور ....

إلا أن الطرق المائية ليست عامل القوة الوحيد في القسطنطينية ، لأن بناءها على سبعة تلال - كما بنيت روما - يؤمن لها بهذه التحصينات الطبيعية الحماية من الجانب الغربي[1] ...

وقد جاء في وصف موقع القسطنطينية الجغرافي ؛ إن الطبيعة قد حبت هذا المكان بميزات جليلة جعلته يتحكم في مفرق طرق مهمة ، ذلك أن مساحتين كبيرتين من الماء ، وهما البحر الاسود وبحر ايجه ينفصلان قارة أوربا عن جنوب غربي آسيا ، ويمتد بين البحرين إقليم تراقيا قبالة آسيا الصغرى ، ويقترب الشاطئان الاسيوي والاوروبي حتى لا يفصلهما عن بعضهما سوى بحرين ضيقين فقط هما البسفور والدردنيل وبحر مرمرة الممتد بينهما[2] ..

ويعد مضيق البسفور الذى اسست عليه مدينة بيزنطة (القسطنطينيه) ، أسهل الممرات التي يمكن عبورها بين آسيا وأوربا ، ذلك أن البسفور يقع في ممر طريقين مهمين من طرق التجارة الكبرى بين أوربا وآسيا ، ويكفل للمدن التي تقام عليه

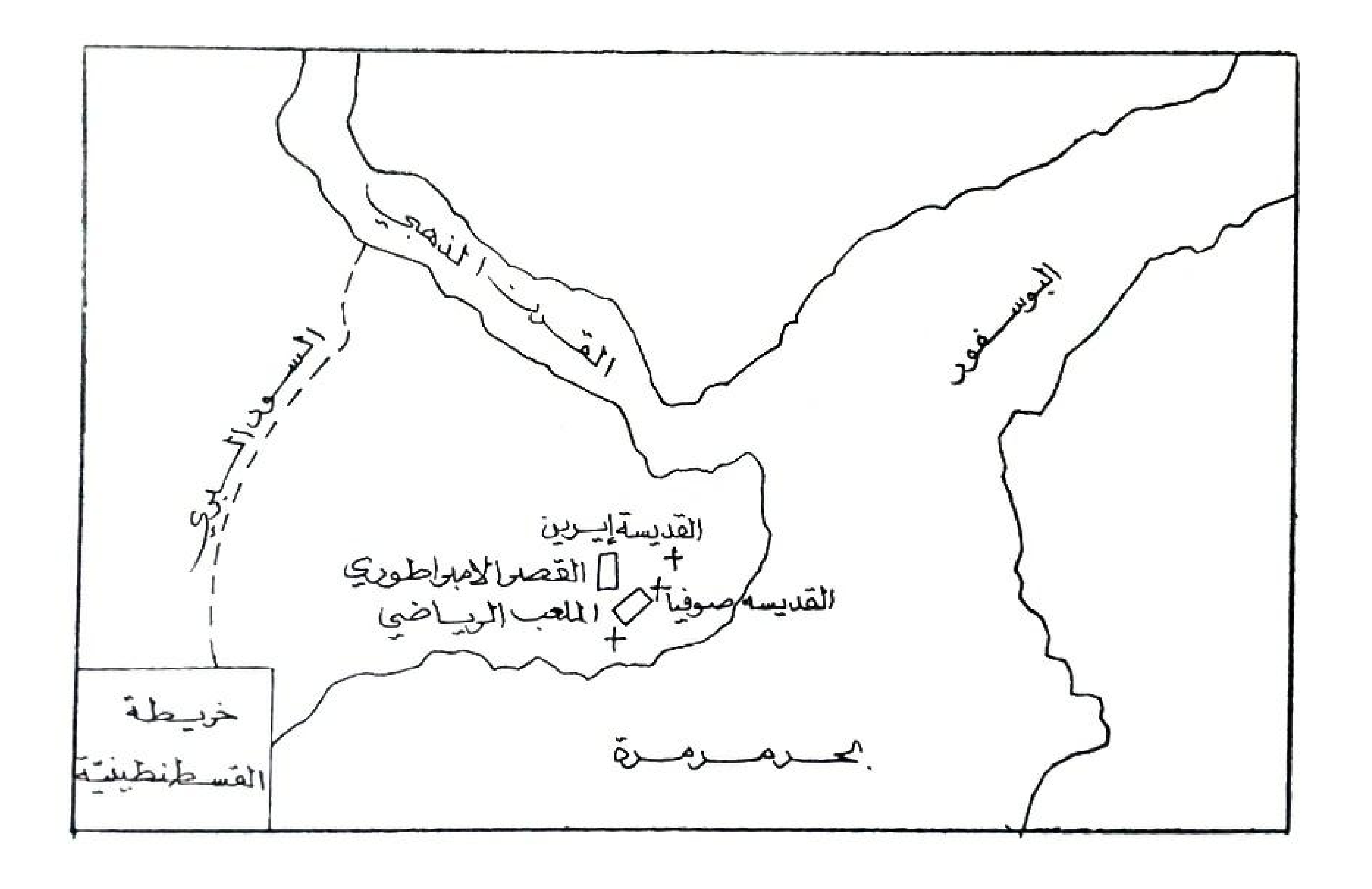
---

(١) انظر بهذا الخصوص : د . عبدالقادر احمد اليوسف ، الامبراطورية البيزنطية ، بيروت ، ١٩٦٦ ، ص ٢٠ . وبرناردين كليتى ، فتح القسطنطينية . ترجمة شكرى محمود نديم ، ومراجعة الدكتور جعفر خصباك ، بغداد ، ١٩٦٢ ، ص١٤

(٢) انظر . د . ابراهيم احمد العدوي ، الأمويون والبيزنطيون ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ١٤٨ . وأنظر :

Bury. B., History of the Later Roman Empire, I., London, 1889, P., 64.

Runciman. S., Byzantine Civilization, New York, 1961, P., 11.



خريطة
القسطنطينية
السور البري
القرن الذهبي
البوسفور
القديسة إيرين
القصر الامبراطوري
القديسة صوفيا
الملعب الرياضي
بحر مرمرة



سيطرة تجارية فضلا على الموقع الممتاز[٣] ...

وقد كان لموقع القسطنطينيه الجغرافي ، أهمية كبيرة في تاريخها السياسي والعسكري والأقتصادي ... فقد اعتبرت المحرك الذي أدار شؤون الدفاع البحري عن الجزر البيزنطية وغيرها من البلاد[٤] ..

وقيل عن أهمية موقعها أيضاً : إن جمال الموقع وستراتيجيته وصحيته وثراءه من العوامل الكفيلة لأختيار ذلك الموقع عاصمة[٥] ..

وقد اعتبرت مدينة القسطنطينية إحدى المدن الأربع العظيمة في العالم انذاك ، فقد وقعت على قدم المساواة مع أثينا وروما والقدس ، فلا غرو أن تصبح الجسر الذهبي الموصل بين الشرق والغرب .

وقد اعتبر المؤرخ رنسيمان السنة التي دشنت فيها القسطنطينية خير بداية للتأريخ البيزنطي[٦] ..

---

(٣) أنظر : نفسه ، ص ١٤٨

Runciman, Op. Cit., P., 11-12.,

(٤) أنظر ، نفسه ، ص ١٠٠ .

(٥) أنظر ، د . عبدالقادر اليوسف ، الأمبراطورية البيزنطية ، ص ٢٠

(٦) انظر ، نفسه ، ص ٢١ ،

Runciman, Op. Cit., P., 11.

٢ ـ تخطيط المدينة وبناؤها

إنفرد قسطنطين الكبير[٧] على أثر سلسلة من تصارع القوى في الأمبراطورية الرومانية ... فقد تمكن قسطنطين وحليفه ليكينوس "Licinus" من الانتصار على جيوش ماكسينتيوس "Maxentius" في موقعة جسر مليفان "Milvian Bridge" قرب روما سنة ٣١٢م[٨] ... فحكم قسطنطين القسم الغربي بينما تولى حكم القسم الشرقي ليكينوس ... غير أن الصفاء لم يستمر طويلا بين الشريكين ، اذ سرعان ما نشبت الخصومات من أجل السيادة على الأمبراطورية انتهت بانتصار عسكري باهر حققه قسطنطين على غريمه سنة ٣٢٤م ... وقد انفرد قسطنطين بالحكم منذ ذلك التاريخ حتى وفاته سنة ٣٣٧م[٩] ....

وكان أهم حدث في تاريخ قسطنطين هو نقله عاصمة الأمبراطورية الى شواطىء البسفور ، إذ أمر بتشييد عاصمته الجديدة سنة ٣٢٤م بجوار خرائب بيزنطة اليونانية[١٠] ...

---

(٧) ولد قسطنطين في مدينة نيش "Naissus" في داكيا .. وقد أصبح والده كلوروس قسطنطينيوس "Chlorus Constantius" ٣٠٥م امبراطور مشاركا في القسم الغربي ، وقد اسند حكم القسم الشرقي الى الأمبراطور كاليريوس "Calerius" ...
أنظر : د . عبدالقادر أحمد اليوسف، الأمبراطورية البيزنطية، ص ١٢ .

(٨) أنظر نفسه ، ص ١٢ ...

(٩) أنظر نفسه ، ص ١٢

(١٠) أنظر نفسه ، ص ١٩

وكانت بيزنطة من أمهات المدن اليونانية التابعة لحكومة مدينة ميجارا "Megara" [١١] ، وقد أمرت حكومة تلك المدينة بتأسيس مدينة بيزنطة سنة ٦٥٧ ق٠م ٠ وأستعانت في تخطيطها بأحد قادتها البحريين المسمى بيزاس "Byzas" الذى يرجع الفضل إليه في اختيار الموقع ، وسميت المدينة التي شادها باسمه ، وفد بقيت بيزنطة المطلة على البسفور ذات مركز تجاري مهم وإستراتيجي حصين وحياة مزدهرة الى أن دمرتها الجيوش الرومانية بقيادة سيفيروس في أواخر القرن الثاني للميلاد لقيامها بثورة ضد الرومان[١٢] ٠٠٠٠٠

ويبدو أن الأباطرة الرومان ـ منذ عهد يوليوس قيصر ـ حاولوا نقل عاصمتهم من الغرب الى الشرق ، إذ فكر هذا القيصر في جعل الأسكندرية أو طروادة عاصمة له ٠٠٠ وجعل دقلديانوس

---

(١١) وقد عمل سكان مدينة ميجارا على انشاء مدينتين على مضيق البسفور .. وسكان مدينة ميجارا اليونان ، فقد اتصفوا بالمهارة والمقدرة الحسنة في اختيار اصلح الأماكن التي يشيدون عليها صرح مستعمراتهم ومدنهم الجديدة ...

وأسس سكان مدينة ميجارا اليونانية مدينة خلقدونيا على الشاطىء الأسيوي قبالة مضيق البسفور حيث يتمتع هذا المكان بميزات جغرافية مهمة ٠

وقد انتقل فريق من سكان ميجارا الى الشاطىء الأخر الاوربي المطل على البسفور قبالة مدينة خلقدونيا ، واسسوا في هذا المكان مدينة عرفت باسم بيزنطة "Byzantium"

أنظر : د ٠ ابراهيم العدوى، الأمويون والبيزنطيون، ص ١٤٧ ٠٠

(١٢) أنظر : د ٠ عبدالقادر اليوسف، الامبراطورية البيزنطية، ص ١٩

عاصمته في نيقومينيا في أسيا الصغرى ... أما قسطنطين فقد فكر بعدة أماكن قبل الأقدام على بيزنطية سنة ٣٢٤م ، منها مدينة نيش مثلاً[١٣] ، غير أن أختياره النهائي وقع على مدينة بيزنطية القديمة[١٤] ....

وفي نوفمبر سنة ٣٢٤م أرسل الأمبراطور قسطنطين المهندسين والمخططين الى مدينة بيزنطة وضواحيها للبدء في تعميرها وبنائها بما يجعلها جديرة بتولي ادارة شؤون الأمبراطورية الرومانية ومقر الجالس على عرشها[١٥] ..

ان المساحة التي اختطها قسطنطين قدرت بمائة وخمسين اكراً ، وتمتد أسوارها من الميناء مارة بقاعدة شبه الجزيرة المثلثة حافة بالتلال السبعة بما فيها بيزنطة . وقد شغلت الحدائق والقصر الأمبراطوري الجانب الشرقي وأول التلال السبعة . وصرف على بنائها ما يعادل مليونين وخمسمائة ألف جنيه ، وسخر لبنائها اربعون ألف عامل ، وحشد لزخرفتها طاقات كافة الخبراء ، وتمت عمليات البناء والتعمير بعد خمس سنوات ونصف[١٦] .....

---

(١٣) أنظر : نفسه ، ص ١٩ ــ ٢٠ .

(١٤) وهناك اخبار طريفة عن كيفية اختيار قسطنطين لعاصمته الجديدة وتخطيطها ، ففكرة انشائها اعتبرت وحياً من السماء ، اذ تراءت له امراة مقدسة اثناء نومه بين أسوار بيزنطية ..
أنظر التفاصيل ، نفسه ، ص ٢٠ ...

(١٥) أنظر : العدوى ، الأمويون والبيزنطيون ، ص ١٥٢!

(١٦) أنظر : نفسه ، ص ١٥٢ .

ويقول المؤرخ كيبون "Gibbon" : سلب قسطنطين مدن الشرق والغرب نفائسها لاستخدامها في تزيين المدينة ، ثم أمر ببناء الملعب الرياضي ، الذى يبلغ طوله أربعمائة خطوة وعرضه مائة خطوة (١٧)

وقد افتتحت في اليوم الحادي عشر من شهر مايس سنة ٣٣٠م ، وقد أسماها الأمبراطور « روما الجديدة » ، غير أن الناس فضلوا تسميتها بأسم مؤسسها (١٨) .....

وكان الأمبراطور قسطنطين يحلم بأن يجعل منها أعظم مدينة في العالم . وقد تمكن من تحقيق حلمه هذا ، فشرع أولاً بتوسيع

---

(١٧) أنظر : عبدالقادر اليوسف ، الامبراطورية البيزنطية، ص ٢١ . عن

Gibbon F., The Decline and Fall of the Roman Empire, Vol., III, London, 1962, PP.,. 49-88.

(١٨) أنظر : نفسه ، ص ٢١ ...

ويسمى المسلمون "Constntinople" بالقسطنطينية .

أما فيما يتصل بأسمها البيزنطي الذى يقال إن منه اشتق لفظ « استانبول » الاسم التركي الحديث ، فيحسن بنا أن نلاحظ أن المسعودي في النصف الاول من المئة الرابعة للهجرة ، العاشرة الميلادي في كتابه (التنبيه والاشراف) ، أن الروم في أيامه كانوا يسمون عاصمتهم « بولن » Polin أي (پولين) Pulin ومعناها المدينة ، وإذا أرادوا بها أنها دار الملك لعظمها . قالوا : استن بولن ، ولا يدعونها القسطنطينية ، وانما العرب يدعونها بذلك ..

أنظر : المسعودى (التنبيه والاشراف) القاهرة ، ١٩٣٨ ، ص ١٢ .

وانظر : لسترنج ، (بلدان الخلافة الشرقية) ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، بغداد ، ١٩٥٤ ، ص ١٧٠ .

حدود المدينة لتشمل المثلث كله لا رأسه فقط . ووضع الخطط لتغطية التلول بالأبنيــة العظيمة ، وأخـذت ثروات الأمبراطورية تنقل الى الشرق، والثروات تتدفق إليها من جميع أنحاء العالم(١٩).. وقد أصبحت القسطنطينية العاصمة العظمى للعالم بفضل كنائسها وقصـور أباطرتهــا ، وعـاش الأدب اليوناني القـديم حيـاً في مكتباتها(٢٠) ...

٣ ـ وصف مدينة القسطنطينية :

قدمت لنـا بعض مصادرنا العربية الاسـلامية وصفاً دقيقـاً ومفصلاً لمدينة القسطنطينية ، تناولت مساحتها ومناعتها وحصونها وأسوارها وأبوابها وتماثيلها وكنائسها وأديرتها وأعمدتها مما يدل على عظمة ما وصلت إليه هذه المدينة من التقدم والرقي قلما ضاهتها مدن العالم المعروفة آنذاك ..

فقد قال عنها ابن رسته ت بعد ٢٩٠هـ/٩٠٢م في كتابــه (الأعلاق النفيسة) « إنهـا مدينة عظيمة ، بأثنى عشر فرسخاً في إثنى عشر فرسخاً ، وفرسخهم على ما ذكر لي ميل ونصف . ويحيط البحـر مما يلي المشـرق منها ، وغربيها صحـراء يؤخذ منـه الى الرومية ، وعليها حصن ، والباب الذي يؤخذ منه الى الرومية من ذهب ، والى جانبه ناس من خدمه ويسمى (باب الذهب) ، وعلى الباب تماثيل خمسة على مثال الفيلة ، وتمثال على صورة رجل قائم قد أخذ بزمام تلك الفيلة ، ولها باب مما يلي الجزيرة يقال لــه

---

(١٩) أنظر برناردين كليتي ، فتح القسطنطينية ، ص ١٧ ـ ١٨ .
(٢٠) أنظر : نفسه ، ص ٢٥ ـ ٢٦ ..

(بـاب بيغاس) ، موضـع يتنزه الملك إليـه . وهـو بـاب مـن حديد »[21] .

ويقول ابن رسته أيضاً : « وما وجدناه أيضاً من صفة مدينة الرومية ثلاث نواح منها في البحر العظيم مما يلي القبلة والمشرق والمغرب، والناحية الرابعة مما يلي البر ، والحربية يعنى الشمال . وطولها من الباب الغربي الى الشرقى ثمانية وعشرون ميلا ، ولها حائطان من حجارة ، وبينهما فضاء ستون ذراعا ، وعرض السور الخارج ثماني أذرع ، وسمكه اثنتان وأربعون ذراعاً ، وفيما بين السورين يسمى قسطيطاس ، وفيما بين باب الذهب الى بـاب الملك اثنا عشـر ميلا، وسوق ممتدة من الشرق الى الغرب مثلثة الأسطوانات ....

وفي المدينة كنائس ، فجميع ما فيها أربع وعشـرون كنيسة ، وثلاثة وعشرون الف ديـر عظيم ، وحـول سورها ألف ومائتان وعشرون عموداً ، فيها الرهبان من كل جنس يسهرون الليل كله ، وفيها مجامع لمن يلتمس صنوف العلم والحكمة من الرجال ، مائة وعشرون مجمعاً »[22]

أما المؤرخ بيورى ، فيقدم أيضاً وصفاً دقيقاً ومفصلا لأسوار مدينـة القسطنطينية الداخلية والخارجيـة ، وأسوارها البحريـة وبواباتها وتحصيناتها المنيعة رغم تعرضها للزلازل أحياناً . ويقول : فقد تعرضت أسوارها التي أقيمت تحت رعاية أتتيموس Anthemius

---

(٢١) أنظر : ابـن رسته ، الاعـلاق النفيسـة ، ليدن ، ١٨٩١ ، ص١١٩ .

(٢٢) أنظر : نفسه ، ص ١٣٠ ـ ١٣٢ ..

عام ١٣ ٤٤م لخسائر بالغة من جراء زلزال حدث سنة ٤٤٧م ، فاصلحت ودعمت ، وأقيم سور خارجي جديد .. ولعل المدينة في ذلك الوقت كانت تتوقع هجوم الهون في أية لحظة ، فأجرى العمل على عجل لمواجهة الخطر ...

السـور الداخلي :

وكان هناك سور داخلي يمثل خط الدفـاع الرئيسـي عن المدينة ، وسمكه حوالي ١٤ قدماً ، ويدعمه ٩٦ برجاً ، إرتفاع كل منها ٦٠ قـدماً ، ويفصل كل بـرج عن الأخـر حوالي ٦٠ ياردة ، ويرابط في هذه الأبراج حرس دائم ....

السـور الخارجي :

وبين السور الـداخلي والخارجي مسافـة يبلـغ عرضهـا من ٥٠ الى ٦٠ قدماً ، وسمك السور الخارجي من ٢ الى ٦½ قدماً فقط ، ومعظمه مبني بشكل أقواس Arche ، وله ٩٦ برجـاً أيضاً يتفاوت إرتفاعها ما بين ٣٠ و ٣٥ قدماً .

خارج السـور الخارجي :

وفي خارج السور جسر عرضه ٦١ قدماً ، يليه خندق يتفاوت عمقه من موضع الى أخر ، ويبلغ عرضه ٦١ قدماً ، وتقسمه سدود منخفضة ...

البوابـات :

ويخترق هذه التحصينات عشر بوابات ، خصص منها خمس للاغراض العسكرية البحتة ، وتتوالى البوابات المدنية والعسكرية..

والمدخل الرئيس الأقرب لبحر مرمرة هو البوابة الذهبية Golden-Gate ، وقد شيدها ثيودوسيوس الكبير سنة ٣٧٩م – ٣٩٥م كقوس نصر تذكاري لتغلبه على ثورة مكسيموس..

الأسوار البحرية :

وقد مُدّت الأسوار البحرية للقسطنطينية على طول القرن الذهبي Golden Horn ومرمرة ..

وكانت البوابة الذهبية الميناء الكبير للقسطنطينية غير أنه كانت هناك مرافئ صغيرة على البسفور ، كانت تأتي اليها السفن المحملة بالقمح من مصر ، وكانت هذه الموانيء الصغيرة موافقة الاحتياجات الدولة الضرورية لها ...

إضافة الى ذلك كله ، إن الرياح الشمالية السائدة كانت تجعل من العسير على السفن غالبا أن تدور لتدخل القرن الذهبي(٢٣)..

وعليه :فالقسطنطينية بموقعها الجغرافي المتميز ، وبمناعة أسوارها الداخلية والخارجية والبحرية ، وبواباتها العسكرية الحصينة ورياحها الشمالية العاتية ، جعلها مدينة صامدة ، تمكنت

---

(٢٣) أنظر :

Bury, History of the Later Roman Empire, PP., 70 - 72.

وانظر كذلك ، فتحي عثمان ، الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضارى ، الكتاب الثاني ، القاهرة ، ص١٣ – ١٤ ..

من صد جميع الهجمات عليها من الخارج ومن كل جانب ، فردت حملة أثر حملة من التاتار ، والبلغار ، والهون ، والغوط والسلاف..

وهكذا تربع أباطرة الروم وأقاموا عروشهم ، وتعاقبوا في الحكم على هذه المدينة الحصينة المنيعة من عهد قسطنطين الكبير عام ٣٣٠م وحتى عهد هرقل الذي بزغ في مطلع حكمه نور الأسلام وأشـرق في ربوع مكـة عـام ٦١٠م ، فاهتزت بأشـراقته أسوار القسطنطينية وابوابها ، وأخذت حصونها وقلاعها تدك في بـلاد الشام وفلسطين ومصر أمام زحف الجيوش العربية الأسلامية معلنة تحريرها ، ومتجهة صوب القسطنطينية لتنهي بذلك أكبر إمبراطورية عرفها العالم آنذاك الى جانب الأمبراطورية الساسانية الفارسية ...

الفصل الثاني

بوادر التطلع العربي الاسلامي

نحو فتح القسطنطينية

١ ـ القسطنطينية والروم في القرآن والحديث ٠

٢ ـ غزوات الرسول (ص) ضد الروم ٠

١ ـ القسطنطينية والروم في القرآن والحديث

بدأ الرسول (ص) يتطلع الى نشر الأسلام والدعوة إليه خارج نطاق الجزيرة العربية بالطرق والوسائل السلمية أولا .. وكان عليه أن يواجه أقوى امبراطوريتين متصارعتين أنذاك ؛ هما الأمبراطورية الساسانية الفارسية والأمبراطورية الرومانية البيزنطية ، وكانتا قد استحوذتا على كل الوطن العربي وشمال أفريقيا العربية ... وكانت الحروب بينهما سجالا بين غالب ومغلوب ، حتى ذكر الله ذلك في قرآنه الكريم : « ألم . غلبت الروم . في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيَغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذٍ يفرح المؤمنون . ينصر

الله من يشاء وهو العزيز الرحيم • وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لايعلمون » [١]

وواضح من آيات هذه السورة • ان الله وعد المؤمنين بالنصر المحقق على هاتين القوتين الكبيرتين ، وتحرير كل الاراضي العربية من نيرهم وهيمنتهم •

وبعد أن استقر الرسول (ص) في المدينة المنورة وكـون فيها أول دولة عربية اسلامية ، بدأ ينفذ تطلعاته الى نشر الأسلام والدعوة اليه بين شعوب العالم •

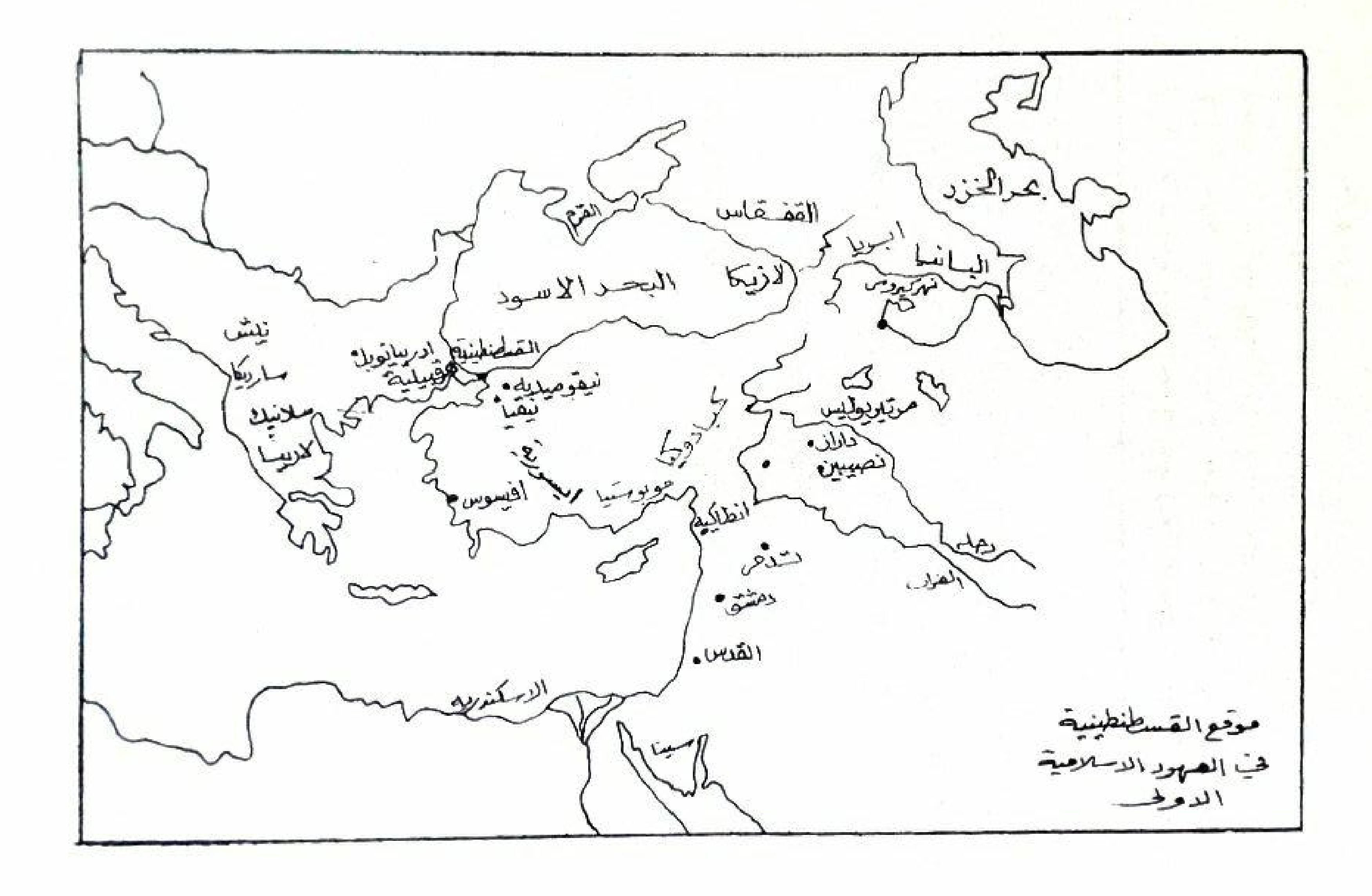
وقد أدرك الرسول (ص) ما للقسطنطينية من أهمية كبيرة في كونها حلقة الوصل ، أو الجسر الموصل بين الشرق والغرب ، إضافة إلى كونها عاصمة لأكبر امبراطورية قد تقف عقبة كأداء في نشر الاسلام ، لذا وجه اهتمامه الكبير صوب هذه المدينة الحصينة المنيعة وضرورة دعوة امبراطورها الى الدخول في الاسلام في ضوء الأية القرآنية الكريمة : « ان الدين عند الله الاسلام »[٢]

---

(١) سورة الروم ، آيات ١ ــ ٥ •••

وقد جاء في وقت نزول هذه الآيات الكريمة ، ان ذلك كان في السنة السادسة أو السابعة قبل الهجرة على أثر اندحار الروم أمام الفرس ، حيث خسر الروم سوريا وفلسطين ومدينة القدس في عام ٦١٤م ــ ٦١٥م • ثم عاد الروم وانتصروا على الفرس بقيادة امبراطورهم «هرقل» في معركة إيسوس سنة ٦٢٢م • وهي سنة هجرة الرسول (ص) من مكة الى المدينة وتكوين أول حكومة عربية اسلامية فيها •••

(٢) سورة آل عمران ، آية ، ١٩ .



بحر الخزر
القفقاس
القرم
ابوريا
البانيا
لازيكا
البحر الاسود
نهر كيروس
نيش
ماريكا
القسطنطينية
ادريانوبل
هرقلية
نيقوميديه
نيقيا
سلانيك
لاريسا
مرتيروبوليس
دارا
نصيبين
كبادوكيا
افسوس
موبسوستيا
انطاكيه
دجلة
الفرات
تدمر
دمشق
القدس
الاسكندرية
سيناء
موقع القسطنطينية
في العهود الاسلامية
الاولى

فلا غـرو والحالة هـذه أن يوجه الرسول (ص) رسائله الواحدة تلو الاخرى الى الامبراطور « هرقل » في القسطنطينية ، والى أسـقفها الكبير يدعوهما الى الدخـول في الـدين الاسلامي الجديد ...

يذكر الدكتور محمد حميد الله في كتابه مجموعة الوثائق السياسية للعهـد النبوي والخلافة الراشـدة » ، نصوص ثلاث رسائل وجهها (ص) الى هرقل ملك الـروم وأجوبة هـذا الملك عليها .. ويبدو أن هذه الرسائل كانت أثناء غزوة الرسول (ص) لتبوك في عام ٩هـ / ٦٣١م ، وكان قـد حملها دحيـة بن خليفة الكلبي[٣] ..

ونتقل هنا نص احدى هذه الرسائل :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن عبدالله ورسوله الى هرقل عظيم الروم ..
سلام على من اتبع الهدى . أما بعد : فأني أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسـلم ، وأسلم يؤتك الله أجـرك مرتين ، فـأن توليت فعليك إثم الأريسيين .

---

(٣) يذكر ابن هشام : أن رسول الله (ص) بعث رسلا من أصحابه، وكتب معهم كتباً الى الملوك يدعوهم فيها الى الأسلام ، فبعث دحية بن خليفة الكلبى الى قيصر ملك الروم » .
أنظر : ابن هشام السيرة النبوية ، جـ٢ ، ط١ ،مصر١٩٥٥ ، ص ٦٠٧ .

و « يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواءٍ بيننا وبينكم ، ألا نعبد إلا ّ الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون »[٤]

أما الرسالة التي بعثها الرسول (ص) الى أسقف الروم في القسطنطينية فهذا نصها أيضاً :

إلى ضفاطر الأسقف :

سلام على من آمن ، أما على أثر ذلك ، فأن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها الى مريم الزكية وإني أؤمن بالله وما أنزل الى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط ، وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيّون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون •

والسلام على من اتبع الهدى[٥]

إن هذه الرسائل إن دلت على شيء فانما تدل بكل جلاء ووضوح على الروح السلمية والنزعة الانسانية ، التي تتمثل بها دعوة الرسول (ص) هؤلاء الى الدخول في الاسلام ، وليس فيها ما يشير الى النزعة العدائية والروح الحربية ، كما يروق للبعض أن يصور قيام الاسلام ونشره على حد السيف •• كما أن هذه الرسائل تنم عما كان يكنه الرسول (ص) من أهمية كبيرة لمدينة

---

(٤) أنظر تفاصيل الرسائل الاخرى وأجوبة هرقل عليها في كتاب : « مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة للدكتور محمدحميدالله ،ط ٣ ،بيروت ، ١٩٦٩،ص٨١

(٥) أنظر : نفسه ، ص ٨٦ ـ ٨٧

القسطنطينية لو استجاب ملكها وأسقفها للدعوة الاسلامية ، الصادقة والقائمة على أساس السلم والأيمان والعقيدة .. غير أن القسطنطينية بملكها وأسقفها ، بقيت متغطرسة عنيدة لا تتجاوب وروح الرسالة الاسلامية الانسانية ، مما دعا الرسول الكريم أن يبشر المسلمين بفتحها إن عاجلاً أم آجلاً .. فقد روي عنه قوله (ص) :

« لتفتحن القسطنطينية ، ونعم الأمير أميرها ، ولنعم الجيش جيشها .. »(٦)

٢ ـ غزوات الرسول (ص) ضد الروم :

وتركيزاً أشرت أعلاه من حقائق ناصحة والمتمثلة ، بالآية القرآنية الكريمة من : وعد الله المؤمنين بالنصر على الروم ، ومن رسائل الرسول (ص) الى ملك الروم وأسقف القسطنطينية ، ومن حديثه الشريف بفتح القسطنطينية .... يتبين لنا مدى الأهمية القصوى التي كان يوليها الرسول (ص) لهذه المدينة العظيمة ...

فلا غرو أن ينقل الرسول (ص) كل ذلك الى واقع عملي يعزز به دعوته مستهدفاً ضمهذه المدينة ضمن حضيرة العالم الأسلامي...

---

(٦) روى الحديث الأمام أحمد بن حنبل في مسنده بأسناد حسن .
ويرى زائر مسجد (ايا صوفيا) في أستانبول الحديث منقوشاً على القاشاني .
أنظر بهذا الخصوص :
The Fall of Costantinople, By Bernadine Kielty, New York, 1957.
ترجمة : شكرى محمود نديم ، ومراجعة الدكتور جعفر خصباك، تحت عنوان : « فتح القسطنطينية » ، بغداد ، ١٩٦٢ ،ص ٣٧

لذا قام بتجهيز أعظم حملتين عسكريتين صوب مواقع الروم المتاخمة لشمال الجزيرة العربية الخاضعة لسيطرة الروم ••• وهاتان الحملتان هما مؤتة وتبوك ، ثم أردفهما بإعداد حملة عسكرية ثالثة ولى على رأس جيشها أسامة بن زيد بن حارثة ، ولكن وفاته (ص) حال دون بعث هذه الحملة ، غير أن خليفته أبا بكر الصديق أتم إنجازها بكل نجاح •••

وسنعرض هنا بشيء من الدقة والتركيز أهمية هذه الحملات العسكرية وتبيان أهدافها ونتائجها :

غزوة مؤتة ٨هـ / ٦٣٠م :

لما رجع رسول الله (ص) الى المدينة من خيبر أقام بها شهري ربيع ، ثم بعث بعثة الى الشام في جمادي الأولى من السنة الثامنة للهجرة ، وإستعمل عليهم زيد بن حارثة ، وقال : إن أصيب زيد بن حارثه فجعفر بن أبي طالب على الناس ، فإن أصيب جعفر فعبدالله بن رواحة على الناس • فتجمهر الناس ، ثم تهيأوا للخروج وهم ثلاثة آلاف • ثم خرج القوم وخرج رسول الله يشيعهم • ثم مضوا حتى نزلوا معان من أرض الشام ، فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء في مائة الف من الروم •• وانحاز المسلمون الى قرية يقال لها مؤته ، فلقوا العدو ، فقتل زيد بن حارثه شهيداً ، ثم أخذ اللواء جعفر بن أبي طالب وقاتل حتى قتل شهيداً ، ثم أخذ اللواء عبدالله بن رواحة وقاتل حتى قتل شهيداً ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الأمراء بل هو أمّر

نفسه • ثم قال رسول الله (ص) : اللّهم إنه سيف من سيوفك فأنت تنصره ، فمنذ يومئذ سمي خالد بن الوليد سيف الله[٧]•••

وهذه الغزوة ، وان لم تحقق نجاحاً عسكرياً على الروم ولكنها تركت آثاراً عميقة في نفوس المسلمين ، وحفزتهم على التفكير بأهمية الشام وعرفتهم بمواقع الروم فيها ، ودلتهم على الطرق والمسالك المؤدية الى حدود الروم في آسيا الصغرى والمؤدية الى مدينة القسطنطينيه ••

وإن هذه الغزوة لم تضعف من معنوية الجيش الاسلامي العائد بقيادة خالد بن الوليد بقدر ما شدت من عزيمتهم ووحدت من صفوفهم ، حتى قال الرسول (ص) عن هذا الجيش : « انهم ليسوا بالفرار ولكنهم الكرّار »[٨] ••••

ويعلق أحد المؤرخين المحدثين على هذه الغزوة بقوله : والواقع أنها كانت الطلقة الأولى من نزاع مستمر لم ينته أمره حتى سقطت العاصمة البيزنطية الفخورة (القسطنطينية) عام ١٤٥٣م على يد محمد الفاتح[٩]

غزوة تبوك ٩ هـ / ٦٣١م

أقام الرسول (ص) في المدينة بعد منصرفه من الطائف ما بين ذي الحجة ورجب • ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم ، وذلك في

---

(٧) انظر التفاصيل : الطبري ، تاريخ الامم والملوك جـ٣ ، الطبعة الحسينية ص ١٠٧ ـ ١٠٩ .

(٨) انظر : نفسه ، جـ٣ ، ص ١١٠ .

(٩) انظر ف وحتى تاريخ العرب المطول ، جـ ١ ، بيروت ، ١٩٦١، ص ١٩٩

زمن عسرة من الناس ، وشدة من الحر ، وجدب من البلاد ، ومعارضة بعض المنافقين والمتقاعسين عن الخروج ...

فلما انتهى رسول الله (ص) الى تبوك أتاه صاحب أيلة فصالح رسول الله (ص) وأعطاه الجزية . واتاه اهل حرباء واذرح فاعطوه الجزية وبعث خالد بن الوليد الى أكيدر دومه وصالحه على الجزية .

وقام رسول الله (ص) في تبوك بضع عشرة ليلة ولم يجاوزها ثم انصرف قافلاً الى المدينة[10] ....

والملاحظ من أهمية هذه الغزوة ونتائجها : إنها كانت تحت إمرة الرسول (ص) نفسه وقيادته ، وإن الرسول (ص) قد جاوز جميع الصعاب التي واجهته وتغلب عليها ، فلم يقف أمامه حرّ شديد ، ولا ضيق أو عسر مادي ، ولاتهاون أو تقاعس بعض المنافقين في المدينة .

ورغم أن الرسول (ص) لم يلق الروم عسكرياً في هذه الغزوة ، إلاّ أنه نجح في إخضاع العديد من القبائل ، وعقد الصلح معها ، كما أن هذه الغزوة قد زادت من معنوية جيش المسلمين ورد اعتبارهم مما قد أصابهم في غزوة مؤته ، ودفعت بهم الى فتح مواطن أخرى ، كان أولها « أيلة » الواقعة على رأس خليج العقبة ، ثم « مقنا » الواقعة بين البتراء ومعان ، ثم «الجرباء»

---

(١٠) انظر التفاصيل ، الطبرى ، تاريخ الامم والملوك ، ج٢ ، ص١٤٢ ـ ١٤٧ .

على مسيرة ساعة من اذرح شمالاً على الطريق الروماني القديم بين بصرى والبحر الاحمر[11]

إن هذه الأماكن كانت مواقع الروم الأمامية في بلاد الشام التي إتصل بها الاسلام في غضون حياة النبي ..

لقد كان لحملات المسلمين العسكرية على مواقع الروم هذه وإخضاعها لسيطرتهم ، قد جعلها بمثابة قواعد اساسية ، ومراكز ستراتيجية ، انطلقت منها الجيوش العربية الاسلامية لتحرير أرض الشام وسكانها من نير الروم ، والتي أصبحت بعد ذلك منطلقاً لزحفها نحو مدينة القسطنطينية عبر الثغور الشامية الشمالية المؤدية إليها ..

وبهذا يكون الرسول (ص) قد وضع المبادىء الأساسية وأرسى القواعد الأولى لخلفائه من بعده ـ قولاً وعملاً ـ في توجيه انظارهم نحو مدينة القسطنطينية ، وضرورة ضمها ضمن حضيرة العالم الاسلامي ..

---

(١١) أنظر ، د . عواد مجيد الاعظمي ، تاريخ مدينة القدس ، بغداد ١٩٧٢ ، ص ٩٣ جـ٦ .

الفصل الثالث

الخلفاء الراشدون وتطلعاتهم نحو فتح مدينة القسطنطينية

١- أستهلال
٢- جهود ابي بكر الصديق وعمر بن الخطاب
٣- عثمان بن عفان وفكرة فتح القسطنطينية
٤- جهود معاوية بن ابي سفيان وتطلعاته نحو فتح القسطنطينية
١- الجبهة البحرية..
٢- الجبهة البرية..

١ ـ استهلال :

ترك الرسول (ص) لخلفائه من بعده ثلاثة مبادىء لتحقيق النصر ، والسيادة ، وتحرير الأرض العربية من سيطرة الروم ، ثم زحفهم المقدس بعد ذلك نحو قلعتهم الحصينة وعاصمتهم المنيعة مدينة القسطنطينية ...

والمبادىء الثلاثة هذه هي :

١ ـ المبدأ الأول ـ الاسلام والدخول فيه ، وذلك بما يتجلى بـه من وحدة ، وإيمان ، وعقيدة ، ومساواة ، وإنسانية ، وشجاعة، وتضحية واستشهاد ، فالدعوة اليه والدخول فيـه اولاً وقبل كل شيء وإلاّ فتطبيق المبدأ الثاني .

٢ ـ المبدأ الثاني : ويتمثل بدعوة غير المسلمين بعقد الصلح مـع المسلمين مقابل تقديم الأمان والسلام على حياتهم وأموالهم وعقائدهم .. وإلاّ فتطبيق المبدأ الثالث :

٣ ـ المبدأ الثالث .. وهو مبدأ الجهاد أو الحرب ، وبعبارة أخرى تطبيق مبدأ القوة العسكرية ..

وقد نقل الرسول (ص) هذه المبادىء الى واقع عملي وميداني، وتعامل مع الروم في ضوئها ، وقد إستجاب بعضهم الى المبدأين لبين ، ومن رفض منهم فطبق عليهم مبدأ الجهاد ، كما تجلى ذلك غزواته لمواقع الروم على بلاد الشام في مؤته وتبوك التي اعتبرها القاعدة الأساسية ، والمركز الستراتيجي المهم في إنطلاق الجيوش العربية الاسلامية وتقدمها عبر الأراضي الرومية في اسيا الصغرى وفي اتجاه مدينة القسطنطينية وضمها ضمن حضيرة العالم الأسلامي ..

وما تجهيز الرسول (ص) وإعداده لحملة أسامة بن زيد بن حارثة الى بلاد الشام ـ الاخير دليل على مدى إهتمامه واعتزازه بهذه الأرض العربية الطيّبة وتحريرها من طغاة الروم وإستغلالهم ..

٢ ـ جهود ابى بكر الصديق وعمر بن الخطاب :

وقد أدرك الخلفاء تطلعات الرسول (ص) وأهدافه ، لذا صمم الخليفة الأول أبو بكر الصديق على بعث جيش أسامة بن زيد الى بلاد الشام لقتال الروم ... ولم يكتف أبو بكر الصديق ببعث جيش أسامة فقط وإنما سيّر الجيوش العربية الاسلامية الى بلاد

الشام أيضاً •••• وسنقدم هنا عرضاً موجزاً للعمليات العسكرية العربية في هـذه البلاد والأنتصارات الباهـرة التي حققتها التي استكملت بها تحرير بلاد الشام، فمهدّت بذلك الطريق وعبدته نحو مدينة القسطنطينية •

بعد أن وضعت حروب الردة أوزارها ، جهز الخليفة أبو بكر أربع سرايا في كل منها ثلاثة آلاف مقاتل ، وقد رأس السرية الأولى عمرو بن العاص ، ورأس الثانية يزيد بن أبي سفيان ، ورأس الثالثة شرحبيل بن حسنة، والرابعة أبو عبيدة بن الجراح وباشرت الحركات العسكرية في الجنوب الشرقي من الشام ••• وكان حامل اللواء في سرية يزيد بن أبي سفيان أخوه معاوية ••• وسلك يزيد وشرحبيل طـريق تبوك ومعان المباشـر ، وسلك عمرو بن العاص طريق أيلـة (العقبة) • الساحلي ••• وكان أبو عبيدة بن الجراح الذى صـار أمير الجيش بعد ذلك قد جاء أيضا على رأس بعض الأمدادات سالكا بها طريق الحج المعروف الذي يربط المدينة بدمشق ••

ثم ظهر خالد بن الوليد ـ بعد أن قطع بادية الشام ـ مفاجئاً مؤخرة جيش الروم ، وبدأت حملاته العسكرية المظفرة ، واتصل بالجيوش العربية ، واجتمع القواد معاً ، وأمروه قائداً عليهم •••

وقد أسرع « هرقل » ملك الروم عائداً من الرها « أودسا » لتنظيم خطة الدفاع ، وتجهيز جيش وافر العدد والعدة ، وقد عقد إمارته لأخيه ثيودورس •

واخيراً كانت معركة اليرمــوك الفاصلة في ١٣ هـ / ٦٣٤م التــي انتصر فيها العرب على الروم إنتصاراً حاسماً ، وخرّ ثيودورس أخو هرقل صريعاً ، ولم يسلم من جيشه إلا القليلون ، ولما بلغ هرقل خبر اليرموك ، هرب بجنده من أنطاكية الى القسطنطينية فلما جاوز الدرب الى القسطنطينية قال مودعاً أرض الشام :

« عليك يا سورية السلام ، ونعم البلد هذا للعدو »(١)

وبعدها سقطت بصرى ، ثم تلتها فِحَل ، وتقدم خالد بن الوليد حتى نزل بجيوشه أمام باب دمشق ، وقد سلمت دمشق في ١٤هـ / ٦٥٣م ..

ثم تقدم أبو عبيدة بن الجراح نحو حمص وفتحها ، وفتح عمرو بن العاص غزة ، ثم فتح سبسطية ، ونابلس ، ثم فتح لـد وأرضها وعمواس وبيت جيرين ، وفتح يافا ورفح ، وبعد أن فتح قنسرين ، اتجه نحو بيت المقدس وحاصرها . ثم إستسلمت هـذه المدينة المقدسة على يد الخليفة عمر بن الخطاب في ١٥هـ / ٦٣٦م(٢)

---

(١) أنظر : البلاذرى ، فتوح البلدان ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ١٤٤ .
وفي رواية للطبرى : أن هرقل قال : « عليك السلام يا سوريا سلاماً لا اجتماع بعده ، ولا يعود اليك رومي أبداً الا خائفاً ، حتى يولد المولود المشؤوم وليته لم يولد » . الطبري ، جـ٤ ، ص ١٥٦ ..

(٢) أنظر التفاصيل :
البلاذرى ، فتوح البلدان ، مصر ، ١٩٥٩ ص ١٤٤ ـ ١٤٥
والواقدى ، فتوح الشام ، مصر ، ١٩٣٤ ، ص ١٥٦ وما بعدها
والعماد الكاتب الأصفهاني ، الفتح القسى في الفتح المقدسى ، تحقيق محمد محمود صبيح ، مصر ، ص ١١٧ وما بعدها ..

وعليه : نستطيع أن نخلص من هذا العرض العسكري لمراحل تحرير المدن الشامية ، أنه في خلال أقل من عقد من الزمان وتحديداً في الفترة ما بين ١٣هـ ـ ٢٠هـ /٦٣٣م ـ ٦٤٠م ، تم فتح جميع بلاد الشام ، وأصبح الطريق ممهداً أمام الجيش العربي الاسلامي بالزحف نحو مدينة القسطنطينية عبر الثغور الشامية البرية . كما اتخذت الشام قاعدة للجيوش العربية ، الاسلامية التي أخذت تنطلق منها الى أرمينيا وأذربيجان وعلى بلاد الروم في اسيا الصغرى...

وكان لابد للعرب من ترسيخ أقدامهم ، وتطبيق سياسة العدل والتسامح والاصلاح ، وكسب قلوب السكان ، والتخلص من التركات والآثار السيئة التي خلفها الروم في بلاد الشام قبل زحفهم نحو عاصمتهم القسطنطينية ..

فما أورع ما كان يتمثل به العرب المسلمون في حمل رسالتهم الانسانية السمحاء ـ أثناء تحريرهم لبلاد الشام ـ من تطبيقهم سياسة العدل والمساواة على مختلف سكان المدن الشامية ، وليس أدل على ذلك الا مانجده من قول أهل حمص للمحررين العرب بعد وقعة اليرموك وهروب هرقل ملك الروم : « لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ، ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم »[٣]

---

(٣) أنظر : البلاذرى فتوح ، ص ١٤٣

وحتى اليهود والنصارى قد عبروا عن فرحتهم القصوى عندما أنقذهم العرب المسلمون من سيطرة الروم وظلمهم ، فقد نهض اليهود فقالوا : « والتوراة لايدخل عامل هرقل مدينة حمص الا أن نغلب ونجهد » وكذلك فعل أهل المدن التى صولحت من النصارى واليهود « وقالوا : إن ظهر الروم وأتباعهم على المسلمين صرنا الى ماكنا عليه ، وإلا فأنا على أمرنا ما بقي للمسلمين عدد .... »(٤)

لم يكتف العرب بتطبيق العدل والمساواة بين الرعية في بلاد الشام حسب وإنما « عمروا الأرض ، وبنوا المنازل ، والمساجد أيضاً » كما يشير الى ذلك البلاذري »(٥) ...

وقد قام الخليفة عمر بن الخطاب بتنفيذ العديد من الأنجازات والاصلاحات الواسعة في بلاد الشام ، وذلك من خلال زيارته إياها في عام ١٧هـ / ٦٣٨م ...

يذكر الطبري : إن الخليفة عمر قام بتقسيم الأرزاق فيها ، وتسمية الشواتي والصوائف ، وسد فروج الشام ومسالحها ، وأخذ يدور بها ، وسمى ذلك في كل كورة ، وإستعمل عبدالله بن قيس على السواحل .. »(٦)

ومن رواية الطبري هذه نستطيع أن نستخلص الأمور الأساسية التي نفذها عمر بن الخطاب في بلاد الشام ، والتي كانت

---

(٤) انظر : نفسه ، ص١٤٣ .
(٥) أنظر : نفسه ، ص ١٣٥ ..
(٦) انظر : الطبرى ، ٢٠٣/٥ .

أساساً لتطلعات الجيوش العربية الاسلامية في ضرب قواعد الروم العسكرية ، وتقدم زحفها نحو القسطنطينية وهذه الأمور هي :

١ ـ تأمين عمر بن الخطاب الجانب المالي ، وهو الأساس في ضمان قوة الجيش العربي الاسلامي في بلاد الشام ..

٢ ـ اهتمامه بالشواتي والصوائف ، والتي لعبت دوراً مهماً في إستمرارية غزوات العرب وهجماتهم المتواصلة ضد مواقع الروم وحصونهم ..

٣ ـ عنايته وإهتمامه في توجيه أنظار العرب المسلمين نحو الثغور الشامية البرية ، والتي شكلت الممرات الرئيسية في تقدم الجيوش العربية الاسلامية من خلالها نحو قلب اسيا الصغرى، والمؤدية الى عاصمة الروم القسطنطينية ..

٤ ـ عنايته الكبيرة بسواحل البحر الأبيض المتوسط ، وذلك بتعيينه عاملاً خاصاً عليها ... والتي أصبحت منطلقاً لتفوق العرب البحري ،و تفوق أسطولهم على الأسطول البيزنطي.. وقد تم ذلك بصورة خاصة بعد تعيينه معاوية بن أبي سفيان والياً على بلاد الشام عام ١٩ـ٢٠هـ بعد وفاة أخيه يزيد ... كما سنوضح ذلك ...

٣ ـ عثمان بن عفان وفكرة فتح القسطنطينية عن طريق الاندلس :

لقد أصبح واضحاً ـ من كل ما مرّ ذكره ـ أن العرب المسلمين ـ منذ عهد الرسول (ص) ، وفي ظل خلافتي أبي بكر

وعمر ـ قد وضعوا الأسس والقواعد والممهدات الأساسية في تحقيق تطلعاتهم نحو فتح القسطنطينية بيد أن فكرة فتحها قد اخذت تتبلور وبعبارة أخرى أن وضع خطط مشاريع أخذت تشق طريقها نحو الظهور ..

وقد بات من المؤكد أن انتصارات العرب العسكرية الباهرة على الروم بعد فتح مصر وتقدمهم نحو شمال أفريقيا في خلافة عثمان بن عفان وولاية عبدالله بن سعد بن أبي سرح عليها وسماح الخليفة عثمان لمعاوية بن أبي سفيان بغزو الروم في البحر ، وفتح بعض جزره ـ كما سنوضح ذلك ـ كل هذا قد كوّن لدى الخليفة عثمان رؤية واضحة ، أو بعبارة أخرى ، تبادر الى ذهنه فكرةظهرت بشكل مشروع جسده في رغبة قوية لفتح القسطنطينية « من قبل الاندلس على حد تعبير الطبري »[٧] ..

يذكر الطبري في أحداث عام ٢٧هـ عن شعيب عن سيف عن عن محمد وطلحة قالا : وارسل عثمان عبدالله بن نافع بن الحصين ، وعبدالله بن نافع بن عبدالقيس من فورهما ذلك من أفريقيا الى الاندلس ، فأتياها من قبل البحر ، وكتب عثمان الى من أنتدب من أهل الأندلس : أما بعد فأن القسطنطينية إنما تفتح من قبل الأندلس ، وإنكم إن إفتتحتموها كنتم شركاء من يفتحها في الأجر والسلام »[٨] ... ويضيف الطبري عن كعب الأحبار قال : يعبر

---

(٧) انظر : الطبرى ، ٥ / ٥٠ .

(٨) أنظر : نفسه ، ٥/٥٠

البحـر الى الأندلس أقـوام يفتتحونهـا يعرفون بنورهم يـوم القيامة .. »[٩]

وفي تحليلنا لهذه الرواية نستطيع أن نخلص منها بما يأتي :ـ

١ ـ فتح الأندلس بحراً أولاً ..

٢ ـ إشراك من ينتدب من أهل الأندلس في فتح القسطنطينية ..

٣ ـ الألتفاف على سواحل البحر المتوسط الجنوبية من جهة أوربا الجنوبية ... وبعد أن يتم فتح سواحله الشمالية من جهـة شمال أفريقيا ..

٤ ـ ويعنى هذا جعل البحر المتوسط بسواحله الشمالية والجنوبية بحراً عربياً خالصاً ..

٥ ـ وبعد ذلك تكون القسطنطينية مطوقة ومحاصرة من جهـة بلاد الشام في الشرق ، ومن سـواحل البحـر المتوسط في الغرب ...

لاشك أن المتفحص لهذه الفكرة المبكرة أو هذا المشروع أول وهلة قد يبدو لـه ضخماً ، أو أنه أقرب الى الخيال منـه الى الواقع والتنفيذ ..

ولاشك أن هذا هو الذى دعا بالمؤرخين المحدثين أن يقف بعضهم منه موقف المتقبل ، وأن يقف بعضهم الأخـر منـه موقف المتشكك ...

---

(٩) أنظر : نفسه ، ٥/ ٥٠

ويقول المتقبلون لهذه الرواية بان عثان بن عفان كان أول واضع لخطة الفتوحات الاسلامية في أوربا ، وقد اتخذ ولاة شمال أفريقيا وقواد أجنادها وصيرته نبراساً لسياستهم الأسلامية التي يسيرون عليها ...

وأما المتشككون بهذه الرواية ، فيذهبون الى إستبعاد مثل هذا المشروع الضخم ، وذلك بالدوران حول البحر المتوسط عن طريق فرنسا ، وأوربا الوسطى ، والأستيلاء على القسطنطينية من الخلف ، وتحويل البحر المتوسط الى بحيرة اسلامية[١٠]

ولا بأس أن أشير هنا ـ في فقرة اعتراضية ـ الى رأي أحد المؤرخين المحدثين في مجرى تقويمه للفتوحات العربية الاسلامية يقول : كانت الحادثتان الخطيرتان في أواخر العصور القديمة هما الهجرات التوتونية (الجرمانية) التي أسفرت عن تقويض الأمبراطورية الرومانية العريقة ... وكذلك الفتوحات العربية التي دكت صرح الدولة الفارسية الى الأساس ، وزعزعت أركان الأمبراطورية البيزنطية ... فلو قام في الثلث الأول من القرن السابع الميلادي أحد" وتكهن بأن دولة خاملة الذكر تخرج من مجاهل جزيرة العرب ، ثم تنقض على الدولتين المعروفتين ، فتقوض الدولة الواحدة ـ دولة آل ساسان ـ وتظفر بأملاكها ، ثم تقتطع من ولايات الثانية ـ بيزنطة ـ أزهى مقاطعاتها ، نقول لو صدرت مثل هذه النبوءة من فم إنسان في ذلك العصر لحكم عليه بالجنون ...

---

(١٠) أنظر : فتحى عثمان ، الحدود الاسلامية البيزنطية ، ص ٨٥ ..

والواقع أن هذا ما حدث فعلا ٠٠ »[١١]

ومن الواضح ، إن الطبري عندما أورد هذه الرواية وباسناد، لم يبد تشككاً بها ، او أنه لم يذكر رواية أخرى مناقضة أو مخالفة لها ، كما هو معروف عنه بحياده وذكره لروايات متعددة حول حادثة معينة ٠٠

وعليه يمكن القول ، إن الصورة التي تكونت في ذهن الخليفة عثمان بن عفان ـ وإن كانت صورة مبكرة لمشروع جبار ـ ولكنها إن دلت على شيء فأنما تدل على الثقة والأيمان الراسخ بقوة العرب ، وتعاظمهم العسكري المطرد ، حتى أصبح من الممكن تحقيق ما يصبون إليه إن عاجلا أم أجلا ، لا يقف أمام زحفهم وتقدمهم بعد المسافة أوطولها ، ولا يمنعهم في ذلك أي مانع بري أو بحري من أجل الوصول الى هدفهم ٠٠

إن مشروع الخليفة عثمان ـ وإن لم يتحقق في حينه ـ لكنه رسم الطريق لآمال الأمة العربية في مستقبلها القريب والبعيد ، فقد تمكن العرب فعلا في المستقبل القريب من فرضهم حصارات عديدة حول القسطنطينية في البر والبحر ، كما تجلى ذلك في عهد معاوية بن أبي سفيان ، وكذلك الحصار الكبير الذى فرضه مسلمة بن عبدالملك عليها في خلافة أخيه سليمان ، والذي دام عاماً كاملاً ما بين ٩٨ ـ٩٩هـ / ٧١٦ - ٧١٧م ٠٠٠

---

(١١) انظر . ف . حتى ، تاريخ العرب المطول ، جـ١ ، بيروت ، ١٩٦١ ، ص ١٩٣ .

كما تمكن العرب من جعل البحر المتوسط بحيرة عربية خالصة بعد أن تم لهم فتح سواحل افريقيا الشمالية في خلافة الوليد بن عبدالملك ٨٦ ـ٩٦هـ / ٧٠٥ ـ ٧١٥م وفتح بلاد الاندلس بقيادة موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد ، كما تمكنوا بعد ذلك من السيطرة على سواحله من جهة أوربا الجنوبية وفتح جزره من سردينيا وصقلية التي فتحها الأغالبه بقيادة زيادة الله الأغلبى الأول ٨١٧ ـ ٨٣٨م / ٢٠٢هـ ـ ٢٢٣هـ (١٢) .

٤ ـ جهود معاوية بن ابي سفيان وتطلعاته نحو فتح القسطنطينية ولايته على بلاد الشام ... ١٩ هـ ـ ٤١ هـ ٦٤٠م ـ ٦٦١م

ظهر معاوية بن أبى سفيان على مسرح الأحداث الأدارية والعسكرية من خلال مساهماته في الحملات العسكرية مع أخيه يزيد في فتوح الشام ، وبعد أن ولاه الخليفة عمر بن الخطاب على ولاية الشام بعد وفاة أخيه يزيد في أخر سنة ثماني عشرة للهجرة على حد رواية البلاذري(١٣) ...

---

(١٢) نال الاغالبة استقلالهم الذاتي في خلافة هارون الرشيد بعد أن تمكن ابراهيم بن الاغلب من تهدئة الاحوال في بلاد تونس واتخذ من مدينة القيروان مركزاًله ، وكان ذلك في عام ١٨٤هـ/ ٨٠٠م ..

أنظر اليعقوبي ، جـ٣ النجف ، ١٩٣٩ ص ١٤٢ ، وابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، جـ٥ القاهرة ، ١٣٠٣هـ ص ٥١

(١٣) أنظر ،البلاذرى ، فتوح ، ص ١٤٦

ويمكن تبيان دور معاوية وجهوده في وضع الأسس والقواعد المتينة لتحقيق تطلعاته نحو فتح القسطنطينية ، وذلك من خلال ما قام به على الجبهتين البحرية والبرية ..

اولا : الجبهة البحرية

لقد أدرك معاوية ، منذ بدء ولايته ، أن انتصارات العرب على الروم في البر ليست كافية ، وإنه لابد لهم من أن يتفوقوا عليهم في البحر أيضاً .

ويُعدّ معاوية بن أبي سفيان أول من وضع الحجر الأساس، واللبنة الأولى في تفوق العرب البحري على الروم ...

وقد أدرك معاوية أن الوصول الى القسطنطينية وفتحها لا يمكن أن يتحقق إلا إذا تفوق العرب على الروم في البحر ، ما دام الأسطول الرومي يجوب البحر الأبيض المتوسط طولا وعرضاً ..

وقد أظهر معاويه طموحه ورغبته في ركوب البحر منذ أن عيّن والياً على بلاد الشام ، وقد استأذن بذلك الخليفة عمر بن الخطاب غير « أن عمر لم يأذن له »(١٤) ...

ولكن رغبته هذه تحققت في خلافة عثمان بن عفان ٢٣هـ - ٣٥هـ / ٦٤٤م - ٦٥٦م ...

---

(١٤) أنظر ، نفسه ، ص ١٥٧

وتؤكد مصادرنا الأولية : « أن أول من غزا في البحر معاوية بن أبي سفيان زمان عثمان بن عفان »(١٥)

وفي دراستنا سياسة معاوية بن أبي سفيان البحرية ، ومن أجل إبراز دوره الفعال في هذا المجال ، وتبيان استعدادته التامة للحملة على القسطنطينية ، وذلك ضمن فترة ولايته على بلاد الشام خلال العهد الراشدي ، رأينا تحديد الأمور الآتية :

١ ـ فتح الموانىء الساحلية وترميمها وشحنها ..

٢ ـ صناعة السفن ، وبناء الأسطول العربي الاسلامي .

٣ ـ فتح بعض جزر البحر المتوسط ومعركة ذات الصواري .

٤ ـ الحملة على القسطنطينية ..

وسنعرض لدراسة هذه الأمور بشيء من الدقة والتوضيح :

---

(١٥) يشير الطبري : « أن عثمان قال لمعاوية : لا تنتخب الناس ، ولاتقرع بينهم ، خيرهم ، فمن اختار الغزو طائعا فاحمله واعنه ففعل » الطبرى ، ٥/٥٣

اما البلاذرى فيذكر ان عثمان كتب الى معاوية : فان ركبت البحر ومعك امرأتك فاركبه ماذونا لك والا فلا . فركب البحر من عكا ومعه مراكب كثيرة ، وحمل امراته فاختته بنت قرظه بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف بن قصي ، وحمل عبادة بن الصامت امرأته أم حرام بنت ملحان الانصارية ،وذلك في سنة ثمان وعشرين للهجرة ، بعد انحسار الشتاء ، ويقال من سنة تسع وعشرين ... وكان ذلك في غزوة قبرس .

البلاذرى ، فتوح ، ١٥٧ ـ ١٥٨

ان خير ما يمكن أن نستدله من هذه الرواية هي أن الحملة كانت الانطلاقة الاولى في مساهمة المرأة العربية ، وبيان شجاعتها في ركوب البحر والجهاد فيه ..

١ ـ فتح الموانىء الساحلية وترميمها وشحنها :

أبلى معاوية بن أبى سفيان بلاءً حسناً ، وأسهم بشكل فعّال في فتح الموانىء العديده المطلّة على ساحل البحر الأبيض المتوسط مع طلائع الجيوش العربية الاسلامية التي بعثت لتحرير بلاد الشام من الاحتلال الرومي منذ خلافة أبى بكر الصديق ، وفي خلافتي عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ..

يشير البلاذرى : أن أبا عبيدة بن الجراح ، وجّه يزيد بن أبى سفيان ، فسار يزيد وعلى مقدمته معاويـة أخـوه ففتح يزيد وعمرو بن العاص سواحل الأردن ، وكان لمعاوية في ذلك بـلاء حسن وأثر جميل ..»[١٦]

وقد تولى معاوية فتح بعض الموانىء الساحلية بنفسه ، وهو في جيش أخيه يزيـد . « فأن يزيد بن أبي سفيان أتى بعـد فتح مدينة دمشق ، صيدا ، وعرقه ، وجُبيْل ، وبيروت وهي سواحل ، وعلى مقدمته أخـوه معاوية ففتحها فتحاً يسيراً ، وتولى فتح عرقـه معاوية نفسه في ولاية يزيد .. »[١٧]

وبعد أن أصبح معاوية والياً على بلاد الشام في خلافة عمر بن الخطاب ، قام بتحقيق انجازات واسعة لا في ميدان الفتح فقط ، وإنما قام بإنشاء مؤسسات مدنية وعسكرية واسعة في هذه الموانىء الساحلية ...

---

(١٦) أنظر : البلاذرى ، فتوح ، ص ١٢٤ .

(١٧) أنظر : نفسه ، ص ١٣٣ ..

وكانت أول مدينة فتحها معاوية بعد ولايته على بلاد الشام هي مدينة قيسارية[١٨] ... وعن الواقدي في إسناده قال : « لما ولى عمر بن الخطاب معاوية الشام ، حاصر قيسارية حتى فتحها ، وقد كانت حوصرت نحواً من سبع سنين ، وكان فتحها في شوال سنة تسع عشرة »[١٩] ..

ثم كتبَ عمر بن الخطاب الى معاوية يأمره بتتبع ما بقي من فلسطين ، ففتح عسقلان صلحاً ، وأسكنها الروابط ، ووكل بها الحفظة[٢٠] ..

وكان الخليفة لا يكتفي من معاوية بتحرير الموانىء الساحلية، وإنما كان يطلب منه ـ في الوقت نفسه ـ القيام بتنظيم أحوالها الأجتماعية ، والمالية ، والعسكرية .. : « فقد كتب عمر بن الخطاب الى معاوية بعدما ولاه الشام : أن رتّب بأنطاكية جماعة من المسلمين أهل نيّات وحسبة ، واجعلهم بها مرابطة ، ولا تحبس عنهم العطاء »[٢١] ...

وكان معاوية يكتب الى الخليفة ، عمر في أمر تنظيم السواحل، وتحصينها ، وشحنها ، وكان يلقى كل رعاية ، وعناية ، وتوجيه من لدن الخليفة ، والى هذا يشير البلاذري : « ان معاوية كتب الى عمر بن الخطاب ـ بعد موت أخيه يزيد ـ يصف له حال السواحل ،

---

(١٨) قيسارية : وهي مدينة بين عكا ويافا على ساحل البحر ..
(١٩) أنظر : البلاذري ،فتوح ، ص ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ..
(٢٠) أنظر : نفسه ، ص ١٤٨
(٢١) أنظر : نفسه ، ١٥٣

فكتب اليه في مرمّة حصونها ، وترتيب المقاتلة فيها ، واقامة الحرس على مناظرها ، واتخاذ المواقيد لها .. » [٢٢]

وقد استمرت العناية والاهتمام بتحصين السواحل وشحنها في خلافة عثمان بن عفان : « وان عثمان كتب الى معاوية يأمره بتحصين السواحل وشحنها ، وإقطاع من ينزله إياها القطائع ففعل »[٢٣]

« وفي أنطاكية كتب عثمان الى معاوية يأمره أن يلزمها قوماً وأن يقطع قطائع ففعل »[٢٤] ..

ومن كل هذا ، نستطيع أن ندرك مدى التعاون والتجاوب المخلص بين الخليفة وواليه من أجل تعزيز القوة العربية وثباتها وتفوقها في مجابهة أعدائها ، وفي ضوء هذا كان الوالي يدرك مدى المسؤولية الملقاة على عاتقه ، وما يجب أن يترتب عليه من مواقف حازمة إعداداً للمستقبل ، وكان يتصرف وفقا للمبادىء والأسس التي كان يرسمها له خلفاؤه ..

وإنطلاقاً من هذه المسؤولية ، وتوجيه القيادة المركزية ، كان معاوية يجابه أعداء الأمة من الروم بدافع ذاتي مخلص . فمن ذلك : « إن الروم غلبوا على بعض هذه السواحل في آخر خلافة عمر بن الخطاب أو أول خلافة عثمان ، فقصد لهم معاوية حتى فتحها ، ثم رمها وشحنها بالمقاتلة ، وأعطاهم القطائع »[٢٥]

---

(٢٢) أنظر : نفسه ، ص ١٣٤ ..
(٢٣) أنظر : نفسه ، ص ١٣٤ ..
(٢٤) أنظر : نفسه ، ص ١٥٣ ..
(٢٥) أنظر : نفسه ، ص ١٣٣ ..

وبهذا استمر معاوية في بناء الموانىء العربية ، وتحصينها وشحنها : « وإن معاوية بنى أنطرطوس ومصرها ، وأقطع بهـا القطائع ، وكذلك فعل بمرقية وبلنياس »[٢٦] كما قام أيضاً « بترميم وتحصين مينائي عكا وصور »[٢٧] ...

وهكذا كانت شحنة معاويـة السـواحل وتحصينه إياهـا ، شـحنها وحصنهـا ، وأمضى أمرهـا على مـا أمضى عليه أمـر السـواحل[٢٨] ..

وفي ضوء هذه التدابير ، أستطاع معاوية أن يؤمن خط الدفاع الساحلي البحري الأول ، لمجابهة أية محاولة قد يفكر بها الروم في أمر غزو بلاد الشام عن طريق هذه السواحل . وإن معاوية بتأمينه هذا الخط الدفاعي البحري الساحلي ، قد جعل القوة العربية في موقع إقتدار وقوة في الانطلاق نحـو عمق الخطوط البحريـة الرومية وضربها في عقر دارها ..

٢ ـ صناعة السفن ، وبناء الاسطول العربي الاسلامي ..

في ظرف ثلاثة عقود من الهجرة تحول العربي من راكب جمل يخترق رمال الصحراء الى راكب بحر يجوب البحار بعد أن كان حكراً على الروم ، وبهذا أعاد العربي المسلم ماضي أجداده من الكنعانيين والفينقيين .

---

(٢٦) أنظر : نفسه ، ص ١٣٩ ..

(٢٧) أنظر : نفسه ، ص ١٢٤

(٢٨) أنظر : نفسه ، ص ١٣٩ ـ ١٤٠ .

وبعد أن تم لمعاوية بن أبى سفيان تحصين الموانىء وشحنها على طول ساحل بلاد الشام المطلة على البحر الأبيض المتوسط . اتجه نحو تنفيذ خطته الأخرى التي تمثلت في صناعة السفن ، وبناء أسطول عـربي إسلامي لمواجهـة الأسطول البيزنطـي ، وتحقيـق إنتصارات حاسمة عليـه ، تمهيداً لفتح الجـزر الواقعة في البحـر المتوسط ، وضرب حصار بحري على طول سواحل الروم الغربية في آسيا الصغرى ، وفتح الخـط البحـري الموصل الى بحـر إيجـه ، ومضيقي الدردنيل والبسفور ،اللذين يشكلان خط الدفاع البحري لمدينة القسطنطينية عاصمة الروم ، ومعقلهم الحصين ..

وقد وجه معاوية عنايته الفائقة الى إنشاء دور لصناعة السفن، وقد اتخذ من عكا أول مكان لذلك :ـ « وقد أمر معاوية بن أبي سفيان ، بجمع الصناع والنجارين ، فجمعوا ، ورتبهم في السواحل ، وكانت الصناعة في الأردن بعكا .. »[٢٩] ..

---

(٢٩) أنظر : البلاذرى ، فتوح ، ص ١٢٤ ..

والدكتور عواد مجيد الاعظمي، معالم التراث العربي والاسلامي في فلسطين ، بغداد ، ١٩٧٥ ، ص ١١١ ..

ويذكر البلاذرى عن الواقدى قوله : « لم تزل المراكب بعكا حتى ولي بنو مروان ، فنقلوها الى صور ، وقد نقل هشام الصناعة الى صور، واتخذ بصور فندقاً ومستغلا » .

أنظر : البلاذرى ، فتوح ، ص ١٢٥ .

وفي العصر العباسي أمر أمير المؤمنين المتوكل على الله في سنة سـبع وأربعين ومائتين بترتيب المـراكب بعكـا وجميع السواحل وشحنها بالمقاتلة » ..

أنظر : نفسه ، ص ١٢٥

وقد بذل معاوية جهوداً جبارة في صناعة السفن العربية وتطويرها في العدد والعدة ، فيروى : « أن معاوية قد غزا قبرص في سنة ثلاث وثلاثين في خمسمائة مركب ففتحها »(٣٠)

٣ ـ فتح جزر البحر المتوسط ومعركة ذات الصوارى :

وفي ضوء الأمرين السابقين يتبين أن معاوية بن أبي سفيان قد وضع الأسس الثابتة ، والقواعد المتينة ، وأنه قد هيأ الجو ، وأعد العدة في اتخاذ قراره المناسب في تنفيذ خطته العسكرية البحرية المقبلة في ضرب القواعد العسكرية الرومية في جزر البحر المتوسط ..

وإذا أردنا وضع تحديد تاريخي زمني في تنفيذ معاوية خطته هذه ، فأنه يمكن تعيين سنة ٢٨هـ / ٦٤٨م حداً تاريخياً لذلك .. وهي السنة التي أذن فيها الخليفة عثمان بن عفان لمعاوية بغزو البحر وركوبه ، وهي السنة نفسها التي غزا فيها معاوية غزوته الأولى لقبرص(٣١)

ويعنى هذا أن الفترة الزمنية المحصورة ما بين عامي ١٩هـ / ٦٤٠م ـ وهي سنة ولاية معاوية على بلاد الشام ـ وحتى سنة ٢٨هـ / ٦٤٨م ، كانت فترة إعداد وتحضير وبناء قضاها معاوية في تحصين السواحل وشحنها وفي صناعة السفن ، وبناء الأسطول العربي الأسلامي ...

---

(٣٠) انظر : نفسه ، ص ١٥٨ ..

(٣١) انظر : نفسه ، ص ١٥٨ ، والطبرى ، ٥ / ٥٣

فتح جزيرة قبرص (٣٢)

رغم الاستعدادات الآنفة الذكر ، فان معاوية قد مهد قبل غزوه جزيرة قبرص ، بإرسال حملات بحرية استطلاعية ، وقد ولى على ذلك عبدالله بن قيس الحارثي(٣٣) ، حليف بنى فزاره .. وقد غزا عبدالله خمسين غزاة من بين شاتية وصائفة في البحر ، ولم يغرق فيه أحد ، ولم ينكب(٣٤) ..

ولاشك في أنه كان لهذه الحملات البحرية الاستطلاعية أهميتها في جمع المعلومات عن أحوال البحر ، ومعرفة مسالكه وطرقه ، وفي مراقبة تحركات السفن الرومية ، وملاحظة عددها وعدتها ، وجوانب القوة والضعف فيها ، وإنها بعد ذلك وفرت لمعاوية كل الأمكانات ، والمستلزمات الضرورية لإعداد اول حملة بحرية ناجحة ، تمثلت في فتحه الأول لجزيرة قبرص عام ٢٨هـ/

---

(٣٢) قبرص : جزيرة في البحر ، تبعد فيما يقال ثمانين فرسخاً . البلاذري ، فتوح ، ص ١٥٨.

(٣٣): يرد اسمه في البلاذري : عبدالله بن قيس بن مخلد الدزقي... البلاذري ، فتوح ، ص ٢٣٧ ...
وقد سبقت الأشاره الى أن عمر بن الخطاب قد عينه عاملا على السواحل ..

(٣٤) أنظر : الطبري ، ٥/٥٣ ..
ويعنى هذا أن الشواتي والصوائف لم تكن تتم في البر او عبر الثغور الشامية والجزيرية فقط وانما قد شملت البحر ايضا...

٦٤٨م[٣٥] .. وقد صالح معاوية أهل قبرص على سبعة آلاف ومئتي دينار يؤدونها كل عام ، وصالحهم الروم على مثل ذلك ، وعلى أن أن لا يغزوهم ، ولا يقاتلوا مَنْ وراءهم ممن أرادهم من خلفهم[٣٦] ..

وقد نقض أهل قبرص العهد والصلح ، وأعانوا الروم في سنة ٣٢هـ/٦٥٢ م ، فغزاهم معاوية سنة ٣٣ هـ/٦٥٣ م في خمسمائة مركب ، ففتح قبرص ثانية[٣٧]

ولم يكن معاوية مجرد فاتح أو غاز ، وإنما كان رجل إصلاح وإعمار ، فقد قام بإدخال إصلاحات واسعة في جزيرة قبرص ، تمثلت في توطيد علاقات طيبة وحسنة بين أهلها وبين العرب المسلمين : « فأقر أهل قبرص على صلحهم السابق ، وأنزل معهم إثنى عشر ألفاً كلهم من أهل الديوان ، فبنوا المساجد ، وأقاموا يعطون الأعطية ، كما بنى معاوية فيها مدينة »[٣٨] ..

---

(٣٥) كان مع معاوية في فتح قبرص ، امرأته فاخته ، وعبادة بن الصامت وأمرأته أم حرام بنت ملحان الأنصارية ، وأبو أيوب بن زيد بن كليب الأنصاري ، وأبو الدرداء ، وأبو ذر الغفاري ، والمقداد وشداد بن أوس ، وغيرهم من أصحاب رسول الله (ص)
انظر : البلاذري ، فتوح ، ص ١٥٨ ـ ١٥٩
والطبري ، ٥/٥٣

(٣٦) انظر : البلاذري ، فتوح ، ص ١٥٨
والطبري ، ٥/٥١

(٣٧) انظر : البلاذري ، فتوح ص ١٥٨

(٣٨) انظر ، نفسه ، ص ١٥٨ ..

فتح جزيرتي رودس وأرواد :

وقد تلا فتح جزيرة قبرص ، فتح جزر أخرى ذات مواقع ستراتيجية في البحر المتوسط •• فقد بعث معاوية بن أبي سفيان جنادة بن أبي أمية الأزدي الى رودس[٣٩] ، ثم تقدم هذا القائد ، وتم على يديه أيضاً فتح جزيرة أرواد[٤٠] ••

وبفتح هذه الجزر الستراتيجية المهمة ، مُهد الطريق البحري أمام القوات العربية ، والأسطول البحري العربي في اتجاه بحر ايجه بهدف الوصول الى القسطنطينية •

ويلخص أحد المؤرخين المحدثين تقدم الأسطول البحري العربي في البحر الأبيض المتوسط لهدف الوصول الى القسطنطينية بقوله : « وواصل المسلمون هجومهم على الأمبراطورية الرومية بحراً ، فأستولوا على جزيرة قبرص ، وأنزلوا هزيمة بالأسطول البيزنطي الذي كان بقيادة الامبراطور قسطان الثاني ، كما استولوا على جزيرة رودس ، وتوغلوا في بحر ايجه هدفهم القسطنطينية »[٤١] .

معركة الصواري ـ اوذات الصواري :

رغم تفوق معاوية بن أبي سفيان البحري على الروم في الفترة مابين ٢٨هـ ـ ٣٢هـ/٦٤٨ ـ ٦٥٢م وفتحه جزر قبرص ، ورودس،

---

(٣٩) انظر : البلاذري ، فتوح ، ص ٢٣٧ .
ورودس من اخصب الجزائر ، وهي نحو ستين ميلا ، فيها الزيتون ، والكروم ، والثمار ، والمياه العذبة .
نفسه ، ص ٢٣٧

(٤٠) أنظر : نفسه ، ص ٢٣٧

(٤١) : د•عبدالقادر اليوسف ، الأمبراطورية البيزنطية، ص ٩٦ـ٩٧

وأرواد،كان الاسطول الرومي البيزنطي مايزال يجول ويجوب ، وتمخر سفنه عباب البحر المتوسط فيإتجاه السواحل المصرية...كما أن الأسطول العربي الأسلامي لم يدخل بعد مع الاسطول البيزنطي في معركة حاسمة فاصلة ... ويعني هذا أن التقدم أو الزحف بحراً نحو مدينة القسطنطينية قد تشوبه بعض المخاطر ، وقد يؤدي الى ضرب الأسطول العربي من الخلف ..

وقد جاءت ضربة العرب البحرية الحاسمة أو الفاصلة للأسطول البيزنطى في المعركة المشهورة التي عرفت بمعركة الصوارى أو ذات الصوارى[٤٢]

وقد كان لأنتصار العربفي غزوة الصواري البحرية بقيادة عبدالله بن سعد بن أبى سَرْح على الأسطول البيزنطي بقيادة قسطنطين بن هرقل حداً فاصلاً في تفوق العرب البحري على الروم[٤٣] ، حتى وصفها بعض المؤرخين المحدثين بأنها كانت « يرموكاً ثانياً على الروم »[٤٤] ...

---

(٤٢) ترجع هذه التسمية إما الى الموضع الذى كثر فيه السرو الذى تصنع منه الصوارى للسفن ، أو لكثرة الصوارى التي ظهرت عند التحام الاسطولين العظميين .
انظر : ف . حتى ، تاريخ العرب المطول ، ج ١ ، هامش ٢ ص ٢٦٤ .

(٤٣) أنظر التفاصيل : الطبري ، ٥/٦٩ ـ ٧٠ .

(٤٤) أنظر : ف . حتى ، تاريخ العرب المطول ، ج١ ، ص ٢٦٤ ، عن Theophanes, PP., 332-345 .

وقد إختلفت الروايات التاريخية في سنة هذه الواقعة البحرية، فالطبري يذكر عن اسحاق بن عيسى « أن غزوة الصواري كانت في سنة ٣٤هـ »[٤٥] ... وفي رواية أخرى يذكرها الطبري عن المواقدى أنها « كانت في سنة ٣١هـ » ، [٤٦] ومع ذلك فان الطبرى يضع هذه الواقعة ضمن تسلسل سنواته في حوادث سنة ٣١هـ[٤٧]

وإنى أفضل هنا رواية الواقدي ، وأجعل هذه الواقعة البحرية في عام ٣١هـ/٦٥٢م ، وذلك لأن معاوية بن أبي سفيان لم يعد يخشى من أيةقوة بحرية بيزنطية تعيقه عن التقدم ، أو تباغته من الخلف في زحفه نحو مدينة القسطنطينية ، كما تم له ذلك في عام ٣٣هـ/٦٥٣م أي في العام التالي لغزوة ذات الصواري ..

٤ ـ حملة معاوية على القسطنطينية ٣٢هـ / ٦٥٣م .

وخلاصة لكل ما عرضناه انفاً من الأستعدادات التامة التي قام بها معاوية في الجبهة البحرية ، والممثلة في فتح الموانىء الساحلية وترميمها وشحنها ، وفي صناعة السفن وبناء الأسطول البحرى العربي ، وكذلك في فتح جزر عديدة في البحر المتوسط ، وأخيراً في معركة ذات الصوارى البحرية الفاصلة ... أقول : إن كل هذا قد مهد الطريقأمام معاويةلتجهيز أول حملةلضرب الروم فيعقر دارهم، وغزو عاصمتهم المنيعة مدينة القسطنطينية ..

ففي عام ٣٢هـ/ ٦٥٣ م ، جهز معاوية حملته هذه متجهاً

---

(٤٥) أنظر : الطبري ، ٥/٦٨ .
(٤٦) أنظر : نفسه ، ٥/ ٦٨
(٤٧) أنظر : نفسه ، ٥/٦٨

صوب القسطنطينية ، فبلغ خليجها أو مضيقها المعروف بالقسطنطينية .

يذكر اليعقوبي : « أن عثمان بن عفان أغزى جيشاً أميرهم معاوية على الصائفة سنة اثنتين وثلاثين ، فبلغوا الى مضيق القسطنطينية ، وفتحوا فتوحاً كبيرة »(٤٨)

ويذكر الطبري في حوادث سنة إثنتين وثلاثين عن الواقدي قوله : « فمن ذلك غزوة معاوية بن أبي سفيان المضيق مضيق القسطنطينية ، ومعه زوجته عاتكة إبنة قرظة بن عبد بن نوفل بن عبد مناف ، وقيل فاختة »(٤٩) ..

رغم أن هذين المصدرين لم يقدما لنا تفاصيل أكثر عن هذه الحملة « والفتوحات الكبيرة » التي تمت أثناءها على حد تعبير اليعقوبي ، لكنها تقدم لنا إنطباعات وتصورات تاريخية قيمة ، فهي تصور لنا مدى تفوق العرب البحري على الروم ، ومدى التصدع والضعف الكبير الذى أصاب الروم ، وتقهقرهم وهزائمهم العديدة أمام تقدم الجيش العربي وزحفه ... كما أن هذه الحملة قد عززت معنوية العرب ، وفتحت أمامهم آمالاً واقعيه في أن القسطنطينية ستصبح في يوم ما في قبضتهم ، وقد تجلى أمامهم أن حصارها أو فتحها قد أصبح ليس مجرد حلم إنما حقيقة واقعة ... إن هذه الحملة كانت الأنطلاقة الأولى ، التي سوف تعقبها إنطلاقات أخرى في الزحف وفتح أكبر مدينة عرفها التاريخ في ذلك الوقت ..

---

(٤٨) انظر : اليعقوبي ، جـ٢ ، طبعة النجف ، ص ١٥٨

(٤٩) آنظر الطبري ، ٥/٧٧ .

ثانيا ـ الجبهة البرية :

لم يبد العرب تفوقاً عسكرياً كبيراً على الروم في الجبهة البحرية فقط إنما أظهروا أيضا تفوقاً عسكرياً كبيراً في الجبهة البرية ، وذلك عبر ما سمي بالثغور الشامية والجزريه[٥٠] .. وسنعرض هنا بشيء من الدقة والتركيز لهذين النوعين من الثغور :

---

(٥٠) الثغور : هي خط الحصون الخارجي · والثغر هنا ما يلي الى أرض العدو من أرض العرب ·· وقد قسمت الثغور الى قسمين :

١ ـ ثغور الجزيرة : أي ثغور الأقليم الواقع شمال دجلة والفرات ، وهي خط المعاقل التي اتخذت للدفاع عن العراق .. ومن الثغور الجزرية شمشاط ، وملطيه ، ومرعش ، والحدث ، وزبطرة ···

٢ ـ ثغور الشام : وهي الأماكن الحصينة التي تحمي الشام من عدوان الروم · ومن الثغور الشاميه : مدينة طرسوس الواقعة جنوب آسيا الصغرى ، قرب ساحل البحر المتوسط وقد هيمنت طرسوس على مركز الهجوم على مدخل بلاد الروم الجنوبي الشهير بأبواب قليقيه ، وهو ممر في جبل طوزون ، فجعلها العرب قاعدة حربية شنوا منها الحملات على مناطق الروم ولا تبعد طسرسوس اكثر من اربعمائة وخمسين ميلا من البسفور في خط مستقيم ..

وكان هناك بحر آخر لأختراق جبال طوروس في الشمال الشرقي ويعرف بدرب الحدث ويتجه من مرعش شمالا الى أباستين ومن الثغور الشامية المهمة أيضا أذنه (أطنه) والمصيصه ···

أنظر بهذا الخصوص : البلاذرى ، فتوح ، ص ١٦٨ ··

والدكتور عواد مجيد الأعظمي ، الامير مسلمة بن عبدالملك بن مروان ، بيروت ، ١٩٨٠ ، هامش ص ٢١٢ ··

وف · حتى ، تاريخ العرب المطول ، جـ١ ، ص ٢٦٣ ··

الثغور الشامية :

وقد شكلت الثغور الشامية مراكز ستراتيجية تنطلق عبرها الجيوش العربية الاسلامية نحو المدن الرومية في آسيا الصغرى، لدك قلاعهم وحصونهم فيهـــا ، التي كانت تشـــكل حائلا دون وصولهم الى مدينة القسطنطينية .

ويعود اهتمام العـرب المسلمين بالثغور الشامية الى عهـد الخليفتين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان .

ومن القواد العرب الذين إشتهروا في إختراق هذه الثغور وممراتها ودروبها ميسرة بـن مسروق العبسي الذي وجهه أبـو عبيدة بن الجراح ، ومنهم أيضاً مالك الأشتر النخعي ، وعمير بن سعد الأنصارى حين توجـه في أمر جبلة بن الأبهم ... وإن أبـا عبيدة بن الجراح كان نفسه قـد غزا الصائنة فمـر بالمصيصـة وطرسوس ، وقد جلا اهلها ، واهل الحصون التي تليهـا فأدرب فبلغ في غزاته زنده(٥١) ..

ولما تولى معاوية بن أبي سفيان بلاد الشام ، أبدى اهتماماً كبيراً بالثغور الشامية .. يذكر البلاذرى : « فلما غزا معاويـة غزوة عمورية في سنة خمس وعشرين ، وجد الحصون فيما بين أنطاكية وطرسوس خالية ، فوقف عندها جماعة من أهل الشام ، والجـزيرة ، وقنسـرين حتى انصراف من غزاتـــه »(٥٢) ...

---

(٥١) أنظر : البلاذرى ، فتوح ، ص ١٦٨ ـ ١٦٩ .

(٥٢) أنظر : البلاذرى ، فتوح ، ص ١٦٩ ..

وكان معاويـة في غزواتـه يدك قلاع الـروم وحصونهم ، « فأنه غزا في سنة إحدى وثلاثين من ناحية المصيصه فبلغ دروليه ، فلما خرج جعل لا يمر بحصن فيما بينه وبين أنطاكية إلا هدمه »(٥٣)

ومن القواد العرب الذين اشتهروا في اختراق الثغور الشامية في ولاية معاوية يزيد بن الحر العبسى(٥٤) ..

وبهذا أصبح واضحاً ، أن سيطرة العرب على الثغور الشامية، وإتخاذها قواعـد ستراتيجية عسكرية برية في ضـرب قلاع الـروم وحصونهم مكملاً لتفوقهم في البحر ... وبهذا وضعوا مدينـة القسطنطينية ـ وهي هدفهم الأساس ـ بين كماشتين ؛ كماشـة البر عبر الثغور الشامية ، وكماشة البحر عبر البحر المتوسط وجزره ..

الثغور الجزرية

ولا تقل الثغور الجزرية أهميـة عن الثغور الشامية كمراكز ستراتيجية عسكرية في إنطلاق الجيوش العربية الاسلامية ، وضرب القواعـد البيزنطيـة ودك قلاعهـم وحصونهـم في أعالي دجلـة والفرات .....

وقـد أبدى معاويـة بن أبى سـفيان إهتماماً كبيراً بالثغور الجزرية ، خاصة في خلافة عثمان بن عفان ..

« ولما استخلف عثمان بن عفـان كتب الى معاويـة بولايتـه الشام ، وولى عمير بن سعد الأنصارى الجزيرة ، ثم عزله ، وجمع

---

(٥٣) أنظر : نفسه ، ص ١٦٩ .
(٥٤) أنظر : نفسه ، ص ١٦٩ ..

لمعاوية الشام والجزيرة وثغورهما ، وأمره بغزو شمشاط وهي أرمينية الرابعة »[٥٥] .

ومن القواد العرب الذين إشتهروا بفتح الثغور الجزرية في خلافة عثمان ، حبيب بن مسلمة الفهري ، وصفوان بن المعطل السلمي[٥٦] ...

ومن الثغور الجزرية التي فتحت في ولاية معاوية ، ملطية.. وقد وجه معاوية إليها حبيب بن مسلمة الفهري ، ففتحها عنوة ، ورتب فيها رابطة من المسلمين ، وقد قدمها معاوية وهو يريد دخول الروم ، فشحنها بجماعة من أهل الشام والجزيرة[٥٧] ...

وبهذا ثبت معاوية بن أبي سفيان وقواده من العرب ، أقدام الجيوش العربية وعززها في الثغور الجزرية ، كما ثبتها وعززها في الثغور الشامية ..

وإذا كانت الثغور الشامية أصبحت تشكل الجناح العسكرى الشمالي من بلاد الشام ، فأن الثغور الجزرية أصبحت تشكل الجناح الشرقي لها ...

وبهذا أصبح زحف الجيوش العربية الاسلامية وإنطلاقها نحو مدينة القسطنطينية مهيأً ومؤهلاً مستقبلاً يتكون من ثلاثة خطوط عسكرية هي :

---

(٥٥) انظر : البلاذري ، فتوح ، ص ١٨٧ – ١٨٨ .
(٥٦) انظر : نفسه ، ص ١٨٨ .
(٥٧) انظر : نفسه ، ص ١٨٩ .

١ ـ خطان بريان يتمثلان بالثغور الشامية والجزرية ..

٢ ـ خط بحري يتمثل بخط البحر المتوسط وجزره .

الصوائف والشواتي :

ومن أجل إستمرار العرب وعدم توقفهم في ضرب قواعد الروم العسكرية ، ودك قلاعهم وحصونهم طول العام عبر الثغور الشامية والجزرية والبحرية ، برزت عندهم أكبر ظاهرتين حربيتين سطرتهما لنا المصادر التاريخية الأولية ، والمعروفتين بالصوائف والشواتى ، تتخلهما غزوات في الربيع [٥٨]

وكان أول من سمى الشواتى والصوائف هو الخليفة عمر بن الخطاب أثناء زيارته عام ١٧هـ/ ٦٣٨م كما أشرنا الى ذلك[٥٩] ...

ويبدو أن معاوية بن أبي سفيان جعلها بشكل غارات دائمة ومنظمة . وقد عرف النظام الذى سار عليه معاوية « بالصوائف والشواتى » ، إذ كانت الغارات الاسلامية تقوم صيفاً وشتاء ،

---

(٥٨) الصائفة : وكان هذا الغزو يقع في الصيف ، ويقال له الصائفة .
الربيعية : ويقع في الربيع ، ويقال له « الربيعية » ، وكانت الصائفة أطول من الربيعية ..
الشاتية : أما غزو الشتاء ، فكان يحدث نادراً جداً ، لان البرد والثلوج كانا يعوقان حركة العدو .. واذا كان لابد من غزو الشتاء أو الشاتية ، فأنها تكون قصيرة جداً لا تتجاوز العشرين يوماً ، وكان يطلق أحيانا اسم الشاتية على الغزوة الربيعية ..
أنظر : الدكتور عواد مجيد الاعظمي ، الامير مسلمة بن عبدالملك، هامش (٦) ص ٢١٣ .

(٥٩) راجع ماذكر في اعلى هاش (٦) من الفصل الثالث

وتتوغل في بلاد البيزنطيين ، وتعود الى قواعدها مرة أخرى بعد أن تنتهي مهمتها[٦٠] ..

ويشير البلاذرى : « أن بنى أمية كانت تغزو الروم بأهل الشام والجزيرة صائفة وشاتية ، مما يلي ثغور الشام والجزيرة ، وتنيم للراكب الغزو ، وترتب الحفظة في السواحل ، ويكون الاغفال والتفريط خلال الحرز والتيقظ »[٦١]

وقد ترك أحد المؤرخين المسلمين وصفاً لنظام الصوائف والشواتى على أرض الدولة البيزنطية ، فذكر : « أن المسلمين قاموا بأغارات في فصل الربيع والصيف تسمى بالصوائف ، وأخرى واخرى في الشتاء تسمى بالشواتي ..

وكان غزو الربيع يبدأ في منتصف (مايو - مايس) حين تكون الخيول قد سمنت وقويت من رعيها في كلأ الربيع ومراعيه ، ويستمر الغزو ثلاثين يوماً إلى منتصف الشهر التالي (حزيران) . وفي هذه الأغارات تجد الخيول غذاء وفيراً في مراعي البيزنطيين التي تمر بها ، ثم يجنح المسلمون الى السكينة ، ويريحون خيولهم في منتصف يونيو - حزيران) الى منتصف (يوليو - تموز) إذ تبدأ إغارات الصيف . وكانت هذه الحملات تستغرق ستين يوماً ...

أما إغارات الشتاء ، فلم يقدم المسلمون عليها إلا في حالات الضرورة القصوى دون أن يمعنوا في التوغل داخل أراضي

---

(٦٠) انظر : د ابراهيم احمد العدوى ، الامويون والبيزنطيون ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ١١٢ - ١١٣ .

(٦١) أنظر : البلاذرى ، فتوح ، ص ١٦٧ .

البيزنطيين . فلم تستغرق الشواتي أكثر من عشرين يوماً ، وكانت تلك الشواتي تقع عادة في الفترة ما بين أواخر (فبراير - شباط) والنصف الأول من (مارس - آذار) »[٦٢] ...

وقد كانت لعمليات الصوائف والشواتي المستمرة والمنظمة، أهمية كبيرة في إستمرارية تعزيز قوة العرب العسكرية ، وفي إستمرار حيوياتهم ونشاطاتهم ، وإرتفاع معنوياتهم ، وبعث تطلعاتهم نحو فتح مدينة القسطنطينية ، وقد تجلى ذلك واضحاً في حملة معاوية الأولى على خليج القسطنطينية في غزوة الصائفة عام ٣٣هـ/٦٥٣م [٦٣] .... وكذلك في تطلعاتهم المقبلة نحو فتح هذه المدينة في خلافتي معاوية بن سفيان ، وسليمان بن عبدالملك ، كما سنوضح ذلك في دراستنا القادمة ..

---

(٦٢) أنظر : قدامة بن جعفر ، كتاب الخراج ، ليدن ، ص ٢٥٩ . وكذلك د . ابراهيم العدوى ، الامويون والبيزنطيون ، ص ١١٦ .

(٦٣) راجع ما ذكر في اعلى هامش (٤٨) من الفصل الثالث .

المصــادر الاوليــة

- القرآن الكريم ..
- إبن الأثير - الكامل في التاريخ ، القاهرة ، ١٣٠٣هـ .
- ابن رسته - الأعلاق النفيسة ، ليدن ، ١٨٩٠ .
- ابن هشام - السيرة النبوية ، مصر ، ١٩٥٥ .
- البلاذرى - فتوح البلدان ، القاهرة ، ١٩٥٩ .
- الطبري - تاريخ الامم والملوك ، الطبعة الحسينية .
- العماد الكاتب الأصفهاني - الفتح القسى في الفتح المقدسى ، تحقيق محمد محمود صبيح ، مصر ، بـلا ، ..
- قدامة بن جعفر ، كتاب الخراج ، ليدن ، ..
- المسعودي ، التنبيه والاشراف ، القاهرة ١٩٣٨
- الواقدى ، فتوح الشام ، مصر ، ١٩٣٤ .
- اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، النجف ١٩٣٩ .

المراجع الثانوية العربية والاجنبية

- إبراهيم احمد العدوي ، الأمويون والبيزنطيون ، القاهرة ، ١٩٦٣ ٠
- برناردين كليتي ، فتح القسطنطينية ، ترجمة شكرى محمود نديم ، ومراجعة د ٠ جعفر خصباك ، بغداد ، ١٩٦٢ ٠
- حتى ، تاريخ العرب المطول ، ج١ ، ج٢ ، بيروت ، ١٩٦١ ٠
- د ٠ عبدالقادر أحمد اليوسف ، الأمبراطورية البيزنطية ، بيروت ، ١٩٦٦ ٠
- د ٠ عواد مجيد الأعظمي ، تاريخ مدينة القدس ، بغداد ، ١٩٧٢ ٠
- د عواد مجيد الأعظمي ، معالم التراث العربي والأسلامي في فلسطين ، بغداد ١٩٧٥ ٠
- د ٠ عواد مجيد الأعظمي ، الأمير مسلمة بن عبدالملك بـن مروان ، بغداد ، ١٩٨١ ٠٠

- فتحي عثمان ، الحدود الأسلامية البيزنطية بين الأحتكاك الحربي والأتصال الحضارى ، الكتاب الثاني ، القاهرة ، بلا.
- لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، بغداد ١٩٥٤ .
- د . محمد حميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية المعهد النبوي والخلافة الراشدة ، بيروت ، ١٩٦٩ .

— Bury, B., History of the Later Roman Empire, London, 1889.
— Gibbon, F., The Decline and Fall of the Roman Empire, Vol., III, London, 1962.
— Ronciman. S., Byzantine Civilization, New York, 1961.

المحتويات

رقم الإيداع في المكتبة الوطنية ببغداد
[illegible] لسنة ١٩٨٦

دار الحرية للطباعة ــ بغداد
١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٦م



١٩٨٥

السعر - ٣٠٠ فلس

دار الحرية للطباعة - بغداد

توزيع الدار الوطنية للتوزيع والاعلان